

الاقباط في القرن العشرين

الجزء الاول

كتاب يبحث في نشوء الامة القبطية
وأحوالها الاجتماعية والدينية
والعلمية والصناعية
والاقتصادية



تأليف

رمزي تادرس

محرر بجريدة مصر

﴿ طبع في جريدة مصر سنة ١٩١٠ ﴾



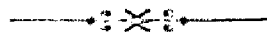
الخواجا فهمي حنا ويسا

Fahmy Hanna Wissa

لهداء الكتاب

الى جناب السري الوجيه الامثل

الخو ابا فهدى حنا ويصا



سيدي الجليل

فيك وجدت رأساً مفكرة ويداً عاملة وشعوراً حياً وقلباً يتقد
غيره على صالح أمتك فأحييت ان ازف الى ساحة فضلك هذا الكتاب
الذي عنيت بوضعه وأنا على شعور تام انك ستكون اول القائمين برفع
شأنها والاخذ بيداً بنائها الى طريق الكمال

وان أمة كبيرة من خيار الامم تعترف بفضل المحسنين عليها والعاملين
على ارتقاءها لحري بشاب نبيل سليل بيت كريم ونجل عصامي عظيم أن
يكون ركناً من أركان نهضتها وقوة من قوى شبيبتها العاملة على احياء
العلوم والفنون لينهض تلك الهمم الفاترة في صفوف الاغنياء ويشجع تلك
العزائم الوانية في صدور النبغاء

والذي يزيدني أملاً ورجاء ما رأيته من اهتمامك الكلي وعنايتك
العظيمة بنشر كتابي انهاضاً لتلك الهمم والعزائم فتفضل بقبوله عربون
ولاء واخلاص من الحامد لفضلك

رمزي تادرس

المقدمة

اخواني الاعزاء

ان هذا الوادي الفسيح الذي نشأتم قبل كل أمة في العالم فوق أديمه .
وأعلتكم قبل كل مخلوق في الوجود شأنه قد امتلأ في هذا الجيل قلوبا
حية تتحرك وتحسن العمل ودبت فيه نهضة عملية حدث بي الى وضع
هذا الكتاب الذي أقدمه اليكم بصفتي فردا من أفرادكم يشعر شعوركم
ويعتقد اعتقادكم ان التطلع الى الامام خير من الوقوف عن التقدم

واذا كان بيننا وبين شاطئ التقدم محيط كلما ازددنا تباطئا في
الوصول اليه كلما ازداد اتساعا فحري بنا أن لا تقتصر على تقدمنا البطيء
لأننا حينئذ لا تقطع من هذا المحيط الا كما تقطع الزوارق الصغيرة
من عبابه الزاخر بل حري بنا أن لا نسعى كغيرنا سعيًا عقيما للحصول
على نظمات اجتماعية وهمية قد صورتها لهم التخيلات بالوان فاخرة فاقبلوها
على عيوبها وعوارضها غير ملتفتين الى صعوبة صب موادها في قالب
ابتدعته العقول الحديثة والافكار العالية والمبادي الشريفة والحضارة
النامية في حقول الغريبين وانما ينبغي أن نسعى في الحصول على هيئة
اجتماعية قابلة للاستمرار والبقاء وداخلة ضمن حدود القانون العقلي ودائرة
شريعة العمران ليكون بيننا وبين الجهل مسافة ما بين الرق والحرية

ولم يكن لنا في الوقت نفسه أن نتأكد كما تأكد أجدادنا ان الذرية التي
ستنحدر منا نكون مخلدة ولا تقبل الفناء

ولا يهوانكم وهم أسرى العواطف الذين لا يفكرون الا في وجودهم
الشخصي ومعيشتهم الخصوصية فيتوهمون الامة في درجة عالية من
التقدم والارتقاء ويؤلمهم كشف العوارض والامراض الاجتماعية في
جسمها ولو كان في اظهارها ومعالجتها احياء لهم وموت لها وفي بقائها فاشية
ممتدة انحطاط لهم وعار خالد

وبالاجمال فان حياتنا الاجتماعية الحاضرة مبنية على مجرد نظمات
سطحية خالية من كل ما يعين على الارتقاء فوق ما ينضوي تحتها من الميول
والافكار البالية القديمة ولا ريب ان حياة كهذه تدعو الى انقلاب عظيم
به نصل الى الكمال وبه تكون لنا بيوت تحدث عن شخصيتنا ومدارس
عن مظاهر ارتقائنا وصناعات عن حضارتنا وعلائق وثيقة تحدث عن
شعورنا كما يحدث وجودنا عن قوميتنا وقوميتنا عن وطننا ووطننا عن
وطنيتنا العالية التي أحييناها في صدور الامم قبل ان تفقه لها معنى
وتقيم لها وزناً

تلك هي كلمتنا نناديكم بها ونختتمها بشكر حضرة الاديب كيرلس
افندي تادرس المنقبادي نجل صاحب جريدة مصر على مؤازرته لنا للمادية
في طبع هذا الكتاب الذي أرفه اليكم وأسأل الله ان يحقق أمانينا وأمانيتكم
وان يلهمنا وإياكم سبيل الرشاد

الشعب القبطي



الشعب القبطي قوته في عقله وفي عمله
وجده « كليبر »

الشعب القبطي بقية امة عريقة في المجد . تليدة في الشرف . كبيرة
في السلطان وضخامة الملك . ترامى عليها قميز والاسكندر في صدر
الاجيال الغابرة كما يترامى الاسد المفترس على فريسته ليمزقها فقد شقيت
أيام قميز وأيام الاسكندر وشقيت بعدهما من عهد العرب الى عصر المماليك
حتى لم يبق لها الدهر مطمعا في ملك . ولا مطمحا في عرش . ولا مطلباً
في استقلال . قتل الرق كل قواها . والشقاء كل عاطفة حية في صدرها
الا عاطفة الاخلاص لمن أحسن اليها

وقد جاء من حسن حظ ذلك الشعب العتيق الذي شاخ في ظل
الاضطهاد وميادين الاستعباد واستكان للبؤس والشقاء زمناً طويلاً
خروجه في صدر الجليل الماضي من معترك الحياة . ومن مقاومة الشعوب .
ومن قيود أمم تولت قياده اجيالاً وقروناً يحمل اعلام الحرية وألوية
الجد والنشاط فكان اكبر معين لمحمد علي باشا في مشروعاته وأعماله
العظيمة التي أحيت مصر من الموت ومهدت لها سبل المدنية وفتحت
أمامها أبواب الرزق والجهاد وكان محمد علي اكبر نصير له في الحرية
وبسطة العيش حيث لم يلق فيه الا كل حسنة . ولم ير منه الا يداً

— استلفات نظر —

وقع أثناء الطبع بعض الغلطات أتينا هنا على صوابها فترجوا القاري =

الكریم ان يصلحها قبل مطالعته

سطر	وجه خطأ	صواب	٥	٣٩	الناقصة	ناقصة
١٦	٢	عليه	٥	٤٠	هذا ان	ان هذا
٨	٤	الحيوية	١٧	٤٢	عفت	عافت
١١	٤	لم يدعو	٧	٤٤	قاصرا	مقصور
١٣	٨	وعلى كلمة	١٣	٤٥	لانه	لان
١٥	١٠	أدواء	١٢	٤٩	كان	كانت
١٦	١٢	ومزاد	١٢	٥٩	درجات	دركات
٣	١٤	ينبئك	١	٦٢	ملا ما	ملوم
١٠	١٦	تلقونها	١٤	٨٣	القي	الق
٦	١٧	التباطيء	١٤	٩٩	الصفحة	الصفحة
٢	١٨	جميع	١٥	٩٩	يتكتظ	يكتظ
٨	١٨	أهاب	١٥	١٠١	سبيل	سبيلا
١	٣٢	مجارا	١٥	١٠١	ودليلا	ودليلا على
٣	٣٦	أصل	١٢	١٤٣	٢١	١٢
٢	٣٧	تابع	٧	١٥٦	١١	٢

وقد وقعت بعض غلطات اخرى لا تخفى على اللبيب

قوية في العمل . وشعوراً حياً . واخلاصاً كبيراً . وعقلاً سامياً
عالياً اختبأ عدة قرون في حضن المظالم والمغارم .
انارت المدنية عقله . والحرية عواطفه . وعلمه الشقاء كيف يجد .
ويسعى . وعرفته توالي الايام وكرور الاعوام كيف يتحصل على الرفعة
والثروة . وأخذت الافكار الحرة والمبادئ السليمة تمتد وتتمو وتكبر فيه
حتى بلغ في ذلك العهد من الرقي الادبي والحيوي ومن الجاه العريض
الطويل والنعم الوافرة مبلغاً يحسده عليه اجداده في عهد العرب وعصر
الأتراك

انتقل بعد ذلك الى حكم ابراهيم فعباس فسعيد فاسماعيل فتوفيق
فعباس وهو يتنقل كالكوكب من برج الى برج نخرج من الجهل الى
الى العلم . ومن العلم الى الغنى . ومن الغنى الى النور . ومن النور الى
عالم المدنية والحياة كانه يرى كل هذا الوجود حياة له يسبح في تيارها
ويرى نفسه شعب هذا الوجود يتدافع في محيطه اللانهائي للعمل
والجهاد . ثم تذكر منزلته الاولى ومركزه السامي فكبرت نفسه واندفع
الى الاصلاح الحقيقي والمدنية الصحيحة باعادة نشر العلوم والمعارف
والفنون والصنائع التي كانت أجل ما زمت عليه افكاره بعد طول
الاحتجاب وأثبتت انه شعب حي قائم قاعد لا يهدم لسانه من بيان
غرض ودفع وهم ورد حجة وتصريح مبدأ ولا يستريح عقله من
عمل حتى يشتغل بآخر فهو في حركة قوية دائمة العمل والاجهاد لا هي

تهبداً ولا هي تقرر على قرار ما لم يصل الى أوج المدنية ومرتقى الكمال.
 هذا هو كل الشعب القبطي الذي حفظت له المشيئة ذرية حية
 الى يومنا هذا وبقيت تلك الذرية ذخيرة من ذخائر الفراعنة واشعة من
 اشعات الآلهة وقوة من قوى الطبيعة العاملة التي احييت الاجيال في
 الشقاء والعذاب دون ان تموت او تخمد عزيمتها الماضية التي أبلغتها
 الى موقفها الاخير وجاءت دليلاً من الأدلة الساطعة على تأثير العلم
 في العالم وسلطه الجدل في رجال الجدل وعظمة العقل عند أهل العقول

على اني اذا قلت ان هذا الشعب القدير شعب حي مجاهد في سبيل
 رقيه وتمدينه وقلت أنه اشتهر بالذكاء المفرط وسمو الادراك والدهاء
 والقوى العقلية العالية فأنا أقول أيضاً أنه لم يزل مع كل هذا الجهاد
 الحيوي في سن الشباب وان اكهتبل بل لم يزل في أول خطوات
 المدنية تنقصه حاجيات حيوية كثيرة تنكسه عن التمام بعد أن قاربه
 ولا يبعد ان تكون تلك الحاجيات سبباً قوياً في مستقبل الايام لان
 تجعل غيره من الشعوب المحيطة به أو الطوائف المتمصرة في بلاده ان
 تسبقه الى المدنية العصرية بمراحل بعيدة هيئات أن يصل اليها بعد فيعود
 الى الوراء ويصبح كما كان عليه في عهد الظلمات والشقاء

على ان تلك الحاجيات التي تنقصه ليست عظيمة الى حد لا يستطيع
 أن يقوم بها ولا هي عويصة لا يقدر ان يفك وثاقه ويحل قيوده منها انما
 هي تحتاج الى مال وبسط يد . تحتاج الى رجال ورابطة . تحتاج الى نفوس

رقيقة تفار على أبناء جنسها . تحتاج الى تغيير غير قليل في عاداته وفي حياته العامة والادبية والعائلية والمالية بل تحتاج الى هممة عالية ان قلت في فريق فلا تقل في فريق آخر يدرك ان عليه واجبات نحو أمته فيجمع ما تفرق من قواها . ويوحد ما تعدد من نزعاتها . ويؤلف منها جسداً قويا لا تعبت به العلل والآفات . والا لا تقوم لها قائمة . ولا يرتفع لها مجد . ولا تشيد لكيانها دعامة ارتقاء مها كانت نهضتها الافراية وكان سيرها السريع في ميدان التقدم والحضارة .

ولعمري ان تلك الحاجيات الحيوية هي وحدها التي جعلت هذا الشعب القدير بعد ان رأى صور القياصرة والخلفاء و نابليون ومحمد علي الكبير يتوجع ويتألم لان انفراد كل فريق فيه لذاتيته وتعدد المشارب والميول في مجموعه مما أدى الى تأخر رقيه ان لم يدعوا الى تهقره وانحطاطه في مستقبل الايام . وقد لا يستطيع سرد تلك الرغبات والميول المتفرقة المترامية الاطراف التي نراها تظهر فيه وتختفي وهو بينها يتجزأ وينقسم الى أحزاب وفرق يميل تارة الى احداها ثم ينقلب عليها ثم يفسح لغيرها مجالا في صدره ثم يعود فيعبت بها كلها ثم تهتاج عواطفه الى درجة الثوران لترقية مجموعه اذا ما شعر بضعفه ثم لا يلبث ان يخدر تلك العواطف بقوة الضغط عليها أو بتأثير القوى الحاكمة على النفس التي تلاشي الانفعالات الشديدة وتخمدها . وعلى توارد تلك العوامل الشديدة التي تهب وتسعى فيه وفي كل مجتمع انساني يماثله صورة ووضعاً تجد

النار تنقد في الرجل والافكار تحوم حولها حومة آلة الاطفاء في كبد السعير ولكنها لا تستطيع ان تخفف الوقد ولا ان تتمكن من ايقاف الغليان عند حد لانه في ثورة هائلة ليست في احيائه بل في افكاره ومعيشته وبيوته ومعا بده لكنها بلا ثمرة ولا نفع يرجى من وراءها كما قلنا وما اشبهها بهياج طفل يبكي ويصيح ثم لا يلبث ان يسكن ويلهو بما في يديه من طرف اللهو واللعب بل ما اشبهها برضيع يقضي اوقاته وساعاته مستسلماً على ثدي امه حتى اذا رأى ما يبكيه عاد الى البكاء والعويل فلا تنتهي دمعته الا باغماض جفنيه تحت سلطان الكرى . هكذا تمر الحياة على هذا الشعب . وهكذا يعيش وهو لا يدرك منها شيئاً حتى لتجدن جل مجموعه لا يبكي لموت ولا يبتسم لفرح ومن كان لا تجول فيه نفس ولا يخفق في صدره قلب لا يعرف بطبيعة الحال شيئاً مما يحيط به وان عرف فحسبه حياة كلها أحلام وأمال كاذبة أشبه بالهواء في الفضاء تشعر به ثم لم تره

واذا كان هذا هو حال الشعب الذي عرفه العالم منذ عشرات من السنين متمسكا بعوائده القديمة ونواميسه القديمة وشرائعه القديمة ثم رآه منذ عهد قريب ذاهباً مع التيار الفكري الغربي الذي يطلع عليه من وراء البحار والجبال فقد يراه اليوم يتخبط بين العتيق والحديث فلا هو يعرف كيف يتبع الاول فيعمل بعوامله ولا هو يدري كيف يسير على نواميس الثاني فيسير في تياره . وما كان جهله الا نفس النتيجة التي

قدمناها وتنحصر في تقاطعه وتباعده وتفرق آرائه وميوله وتشئت أفكاره فوق تلون مشاربه الذي يدب في صدوره كلما هبت عاصفة ما لاختاد عاطفة اخائه ولا يبعد ان تحمد هذه العاطفة فتموت سعادته هذه وتتعدد اتجاهاته ويقف دولاب حركته القومية والاجتماعية وعنده يفوز من شقاء العمر وسوء الطالع الذي تخلل خطواته بما يعجل المنية ويديني الاجل وينزل بافراده الى القبر قبل الاوان .

تلك هي أهم الاسباب التي تقف حجر عثرة في سبيل كماله بل تلك هي الدواعي التي يئن منها ويشكو ولا يجد له منها مخرجاً يحقق أمانيه فلنبحث فيها بحثاً دقيقاً نتوصل منه الى كلمة تمكنا من هدم الاسوار التي تحجز بينه وبين التقدم الصحيح ومن سد الهوة العظيمة التي تفصل عنه نور التمدن الحقيقي لتتضح له العوامل الموصلة الى السعادة والراحة . فان أدركها وعمل بهما كبر مع الايام ونما مع السنوات وأصبح رفيع الجانب عزيز القدر مؤيد الكلمة محفوظ الكرامة مصان الحقوق واذا ما أصبح كذلك ظهر له وللذين يسبقونه بالسنة حداد ويصوبون نحوه سهام الا كاذيب ان فيه قوة اذا عمل بها حسنت واذا اراد بها فعل واذا فعل بها نجح وفلح .



الاخاء وحب الذات

٢

الاخاء أشبه بفن جميل تلزم مداولته ومزاويلته
بالحبة والتناصر ومشاركة الاحساس

يقولون ان عاطفة الاخاء عند الشعب القبطي لم تزل طفلة رضيعة
لا تعرف احدا ولا يعرفها احد ومن العبث ان يعرفها الكتائب بالشعب
او يعرف الشعب بها وهو شديد الاعتقاد بطفوليتها وصغر هاله الشدة ما
لاقاه في الاجيال الغابرة من عوامل الظلم التي مزقت شمله وفرقته في
عرض وادي النيل .

وقد انتقل في كل هذه الاجيال من ملك الى ملك . ومن
عرش الى عرش . ومن امة الى امة . ومن حضارة الى همجية . ومن
همجية الى حضارة وتقلب في كل ادوارها مسترقا فستضعفا فهاربا
فصبوراً حتى جاءه محمد علي الكبير يحمل اليه الحرية بكل ما فيها من الحياة
والنور والسعادة والهناء فاستقبله بتراتيل الفرح ومزامير الحب وفتح له
قلبه وفكره وعقله . فكأنه ما عرف الحياة الحرة التي تعلمه الاخاء الا في
وائل الجيل الماضي ولا عرف العدل الذي يعلمه المساواة الا في عهد
البيت الخديوي الكريم .

وقد تكون تلك الذرية التي تحمل مجد مصر القديم حافظة لانها

القديم ورابطتها القومية وقد تكون بريئة مما ينسب اليها انما اختلاف اعمالها واطوارها وتباين خطواتها اوجد الشك في النفوس من انها لا تجتمع مع بعضها الا وتتفرق . ولا تنضم الا وتتباعد . ولا تتحد الا وتتخاذل . وما تغيرت اطوارها واعمالها الى هذا الحد الا من ضغط عوامل الرق والعبودية والظلم والشفاء على عواطفها حتى مزقت ثوب اخائها واوجدت في صدورها ميولا جديدة تكشفت عن حاسات رديئة كحاسة حب الذات . وحب الظهور . وحب الرئاسة . وحب الاثرة بكل شيء وحتى اصبح كل فرد فيها لا يرى نفسا غير نفسه تعشقها فاماتته . واحياها فقتلته بل قل ان هذه الحاسات اوجدت فيها التنافس المضر الى حد قد لا يتصوره العقل من حيثة انها تأكل بعضها بعضاً دون ان تشعر وتبيد نفسها بنفسها دون ان تدرك لقوة التيار الذي يقذفها من اطوارها الاخلاقية المستحدثة ومن غيرها من الشعوب المحيطة بها . وعلى كلمة اوسع اقول انها امة استعبدت علمها الاستعباد حب الذات فاصبح كل فرد فيها يقدس ذاتيته ويمجدها ولو ضحى في سبيلها امته وما فيها لتعوده بحكم الطبيعة التماس المخرج لسلامة نفسه والاستغاثة على بقاء حياته .

واذا ما بحشيا في أسباب ذلك الاستعباد ومسبباته لوجدنا مرجعه الى أن هذا الشعب الذي كان ينعت بشعب الارض القديم حينما أضاع ملكه من يده ورأى سقوط عرش وقيام عرش تبديل النعت وأصبح

شعب الارض القديم الشعب المستعبد ونسل الفراعنة الوجود العدم . اي انه عاش عبدا خاضعا مسترقا لشعوب الارض التي تولت قياده وسامته الخسف والهوان وهو صاغر بل عاملته بقساوة وتوحش لا مزيد عليهما في تاريخ العالمين وهو ساكن حتى شاخ من الظلم والجور ووقع في اليأس يتخبط بين ظلمات الرق وشقاء الحياة دون ان يذوق لذة الراحة أو يعرف معنى الهناء . على ان نفسه الاية أبت ان يبقى مقيدا باغلال الظلم موثوقا بقيود المغارم تحت عروش الظالمين وهو الشعب الذي ملأ وادي النيل جهادا وعملا والعالم حكمة ومدنية فاندفع للتخلص من تلك القيود الثقيلة بان تفرق وتشتت واتخذ الاديرة مسكنا يأواها ويستظل باعمدة هياكلها ومعابدها بين الهدوء والسكينة ثم اخذ في مقاتلة الطبيعة وبني لنفسه قصورا من الاحجار الضخمة القوية التي لم تؤثر فيها مرور الاجيال والقرون بل بقيت الى اليوم اثرا خالدا من اثار اولئك الاباء المساكين الذين استعبدتهم الامم وعذبتهم هذا العذاب الشديد كما بقيت صورة نقرأ فيها كيف كان في تلك الايام الخوالي قويا يتحمل ما لا يحتمل وكيف كان يعيش بين مضاضة العيش والتقشف دون ان يرفع صوتا أو يحرك جانبا وكل ذلك كبر نفسه فاجبها ومال اليها وحرى صار محبا لذاته . اذن فقد أوجد فيه الرق والعبودية والظلم

فقد ظلت تلك العاطفة الذاتية تتغلغل في صدره الى اليوم وان لازمها

وقوع النزاع مع العواطف الاخرى التي طبع عليها كإثارة النفس الى حد التضحية في سبيل المخلصين اليه والمنقذين لحياته من الانذار والتلاشي . وليس بالغريب ان يدوم النزاع قائماً الى هذا العصر الذهبي الذي تخلص فيه من كل عبودية وارهاق لانه كان حتى عهد الاتراك والمماليك القريب عبداً رقا يرضع الذل كما يرضع المولود ندي امه حيث كانوا يستخفون به لضعفه وان استخف بهم لجهلهم ويتسيطرون على ارواحه وان تسيطر على احوالهم الداخلية ويهضمون حقوقه ويندفعون الى خيائنه وسلب ثروته سيرا وراء محبة الذات التي اشتروا بها وبثوها بين جوانبه فوجدت منبتا لينا ازاء تلك المجريات القسرية ادت مع الاسف الى تفرق جامعته وتعددميوله وانقصام عروة اخائه التي ان اتحدتها الجامعة الوطنية والجنسية تحت ظلال الحرية برباط الرخاء فهي تحتاج الى زمان طويل لتمتينها وتقويتها خصوصا لان الظلم الذي تكبده وبقي بصورة محدودة الى عهد غير بعيد اوجد نوما من حب الاثرة في نفوسه لا يمكن ان يتلاشى دفعة واحدة ولا ان تضعف جراثيمه وتموت الا بقوة ادواء الارتقاء وهذه لا تكون خطوة بل خطوة بخطوة فخطوة حسب سنن الطبيعة والوجود .

وعلى هذا ارى انه لولا تلك العوامل القوية التي سردناها وانما كانت فيه وفي كل الامة المصرية على مختلف عناصرها واديانها عاطفة حب الذات لعاش طول حياته محبا للجامعة القومية متآخيا كما كان عليا في

عهد الفراعنة والكهنة والالهة . وان انكر البعض ان هذه الدواعي ليست من العوامل القوية التي تدفعه الى التفرق والاختلاف فنجيبه ان البدو الوثنيين اكثر ارتباطاً ومودة فيما بينهم منه لانهم لم يجدوا من يفرق بينهم بل لم يجدوا مستعبدا يستعبدهم مثل هذا الاستعباد ولا ظالما يظلمهم مثل هذا الظلم مع أن الفرق بينه وبينهم ظاهر واضح . هو حي متمدن متعلم وهم اموات متوحشون جهلاء فضلا عن أن له دينا قويا وشريعة الهية تعلمه الاخاء وحب الجامعة وتنزهه من محبة الذات دليلا لقوله تعالى حبوا بعضكم بعضاً وهو لاء لادين لهم ولا عقيدة وأن تدينوا بدين الهى ايا كان مسيحياً أو اسلامياً لا يفقهون من نواميسه شيئاً ما وان فقهوا من جوده غالباً بعوائد وعقائد وضعية تزيل الغرض المقصود من تعاليمه الممهدة للنفوس المرقية للذواطف . وبناء على هذه النظرية المسبوسة اعود فاقول أن المظالم والعبودية اوجدت في الشعب القبطي محبة الذات بلامشاحة ولا جدال

اما وقد ثبت بكل هذه الادلة والبراهين الجلية أن حب الذات تطرق الى نفوس هذا الشعب واختلط بعواطفه وامتزج بها من ضغط عوامل الظلم والشقاء والعبودية عليه حينما كان لا يجسر أن يرفع صوتا ولا أن يرد ظلامه ظالم او يوقف تيار اثم جائر اسوة باخوانه الاقباط المسلمين فان ثبت أيضاً أن القدرة التي نشلت من هاوية الضعف وجحيم العبودية الى نور الحياة والحرية محبت في قسم كبير منه تلك

العاطفة الذاتية وربطته ارتباطاً أن لم يكن محكما من تنازع مبادئ
 الاخاء لحب الذات المتمكن في بعض صدوره الى الساعة فان
 الامال وطيمه بزواله او بانحلاله انحلالاً كلياً يسفر عن شعور قومي
 عام . على أن بقاء جزء من تلك العاطفة الذاتية اوجد مجالا واسعا لبعض
 الكتاب الذين اشتهروا ابعداء الشرق والشرقيين وكذلك لبعض المتصرين
 الذين طبعوا على بغض الذريات المسيحية للشعوب القديمة فرموه
 بالخداع والنفاق والجبن والخيانة واللاوطنية . وربما تصدق عليه
 الصفات الثلاث الاولى في الازمنة النابرة يوم كان محصورا في تلك
 الدائرة المحجوبة التي يملأها الظلم الذي يعلم النفوس النفاق ويملاها
 الاسترقاق الذي يعلمها الخداع والجبن كما هو مشهور ومعروف عند
 الشعوب التي لم تزل مستعبدة الى الآن أو واقعة تحت فساد الاحكام
 وتوالي الفتن والمشاغبات سواء في المغرب الاقصى أو الشرق الادنى
 اما اليوم فان تصدق عليه قطعياً ليس لانه خرج من تلك الدائرة
 واستنشق نسيم الحرية وعرف معنى الحياة بل لانه تساوى في اكثر
 المرافق التي تنمو في بلاده واصبحت له السلطة على اموره واحواله
 الداخلية والمالية فضلا عن انه محمي ومزاد عنه بفضل النظمات العادلة
 وتنفيذها المحكم الذي يرفع وحده النفوس عن كل ما يذنيها الى مهاوي
 الميول الشائنة . بقيت الصفتان الاخيرتان وهما الخيانة واللاوطنية ولا
 وجود لهما الا في مخيلة الواهمين حيث لم يشبههما أي عمل من اعمال الطبيعة

أو الاخلاقية في زمن ما . وبعيد أن يكون شعب مصر القديم خائناً ولاوطنيا بعد أن دعتة شعوب الارض التي تولت قياده بانه الشعب الوديع الامين المخلص لامته وبلاده حيث كان يتولى امور ماليتها بنزاهة وامانة كما كان يتولى اسرار عروشها حتى في ازمته الاضطهادات باخلاص وولاء وحيث كان عضد البلاد الوحيد في الظروف المملوءة بالمشاكل والقلق وراشدها وطائها وقت السكون والسلام مما يدل على سقط اراء اولئك الكتبة في كل ما كتبوه عنه ودونوه بل قد يظهر لنا من تلك الكتابات انهم حاثقون عليه حنقا شديدا لاسباب كثيرة نذكر منها محاولة البعض اخذاه كما اتخذت غيره سلاحا للعمل في بلاده لسلب خيراتها واجتناء ثمرات اتعاب ابنائها ومنها محاولة البعض الاخر وهو الفريق المتمصر ان يجعله متكئا يتكىء عليه لاعادة المظالم الماضية واخماد روح الحرية التي ترفرف فوق وطنه فلم يروا منه الا طرفا متغافلا واذنا مسدودة واخذ ينافسهم تارة في المرافق الحيوية بين اقتصاديه وتجارية وزراعية وصناعية ويقاومهم تارة اخرى بكل ما فيه من الغيرة والانفة والوطنية حتى عطل اعمالهم ومشروعاتهم ووقف حجر عثرة في سبيل امانتهم مرشدا في الوقت نفسه الامة الى ميولهم الشريرة التي يرمون اليها لان الوطنية وحب الجامعة الوطنية من مبادئ النفوس المخلصة لبلادها اخلاصا يمثلها هذا الشعب القدير من قديم الازل بكل صورته . عدا عن جهاده المتواصل في تعليم الامة معنى الحياة

حتى لا تعرف مذهباً غير لغتها ولا جامعة غير وطنها ولا شريعة غير جنسيتها وكل هذا اكسبه محبة قومه وعطف مواطنيه العقلاء فاتخذوه عوناً لهم ونصيراً في كل اعمالهم وسل التاريخ فهو عنه بينك لانه اعدل شاهد واصلق دليل .

ولعل الهوس الذي اصاب هؤلاء الكتاب الذين اتخذوا مسببة هذا الشعب مضغة في افواههم كان كما قلنا من نتائج المنافسات المضرة التي يرونها قائمة بين افراده وتقاطعهم في كل عمل وتباعدهم عن العاطفة الاخوية وجامعتها وان تكن هذه النتائج لا تثبت في حد ذاتها شيئاً مما يوجهونه نحوه من الصفات المنحطة فاني اقول ايضاً انه لا يليق بالشعب التقدير الذي قال عنه كليبير قوته في عقله وعمله وجده ان يجعل بذور التباغض تنمو بين جنبيه لانها سيئة عليه لا يحصد منها الا الشر ولا يستغل منها الا الاساءة . اذن يجب ان يوجه عنايته الى تنمية عاطفة الاخاء بين افراده بالمحبة والثقة والمعاونة المتبادلة والتناصر الاخوي العام الذي يضحى في سبيله المال والحياة لمنفعة المجموع وتمدينه لتسقط العاطفة الذاتية الباقية في بعض صدوره من تلقاء ذاتها ويعود الى شريعته القائلة «حبوا بعضكم بعضاً» وعندها يجد الراحة والسعادة والعظمة وكل ما يتلوها من مظاهر الكمال الانساني وايات المدنية الحديثة :

واذا كان الاخاء يسقط محبة الذات ويجعل المجموع واحداً فانه لا

يسقط تعدد المشارب والميول التي هي أشد وطأة على انحطاط الشعوب من كل شيء آخر. ولكنها تسقط وتندثر تحت قوة توحيد التعليم وانتشار الدين انتشاراً يناسب روح العصر . وحيث ان الوقت موافق الان للعمل بحزم ودراية فيجب ان لا يدع تلك الفرصة تذهب منه لتنتظم احواله وتقوى على التصرف في الحياة الدنيا بما يزيد بها بسطة وراحة . ولعلي لا احتاج الى سرد بيانات اخرى او اظهار المعجز في الوصول الى هذا المرتقى المرجو طالما كنا نراه مجاهداً لتقوية كيانه وتنمية مرافقه . وقد يزيدنا طمعاً بنجاحه تاريخه القديم واحاديث ابائه واجداده المحفوظة عنده في الكتب وفي مقبرة التاريخ والامة التي استطاعت ان تخرج من العدم حية تحمل حسنها الى الذرية لهي امة ما انطفأت شعلة الحياة في صدور ينيها .

نومبر التعليم

٣

ان السبب الاكبر الذي لاشى عنصر تسين وهوى بالصين وقوى بقية العناصر الاهلية عليه هو ان ابناءه انكبوا على التعليم في المدارس الاجنبية عوضاً عن ان يقتصروا كاجدادهم على مدارسهم الاهلية التي هي وحدها جديرة بتعليمهم وتقويم وجدتهم .

(كتاب اصول النواميس والشرائع لمونتسكيو)

اذا كان للحكومات تأثير عظيم في اخلاق الشعوب وعاداتها .

فللهذيب والتعليم تأثير اعظم واجل في تلك الاخلاق والعادات فتتغير
وتتكيف بحسب هذا التأثير وقوته لان كيان الشعب بتعليمه. وتعليمه
بتعليمه. وتهذيبه بحيويته وحيويته. باتحاده. ولا يتوحد شعب وتتحد ميوله
ومشاربه ما لم يتوحد التعليم الاولي في مدارسها وتكون هذه المدارس
كلها على نسق واحد واسلوب واحد تهيب افراده الى الكمال وتدفع
هم الى اوج العظمة والمجد .

واذا شكنا بعض المطالبين بالاصلاح من انقسام الشعب القبطي
وتحزب الجماعات فيه تحزبا يشقيه ويتعسه اذ لا حياة صحيحة في صدور
بنيه . ولا مبدءا عاليا يقيدهم . ولا جامعة قوية تضمهم . ولا اتحادا متينا
يقربهم . فكله نتيجة تلك التعاليم الاولية التي تلقونها في مدارس اجنبية
مهما بلغت من الاقتدار والرقى في التعليم والتهذيب فهي معدمة للحياة
القومية ولنواميس الاجتماع اعداما لا يكون من وراءه الا التلاشي
والفناء .

واني اذا ما اوضحت هذا التمهيد فلدي ايبن بمثال حسي حالتنا
الحاضرة وما تعتورها من امارات الفتور والانحطاط التي تقوي فينا
الميل الى العاطفة الذاتية اكثر مما تهيننا الى الجامعة القومية . ومن اليقين انه
مع رقي مركزنا العلمي والادبي عن بقية العناصر الوطنية لبقاء قوات
ذكائنا واقدامنا حافظا لنفس الخواص الطبيعية التي تسلسلت اليها من
هماء اجدادنا وشعورهم لئلا يمتزاجنا بعناصر اخرى فان حالتنا تبدل

على عدم صلاحية للحياة القومية ولا على تأهيل لادارة شؤوننا بانفسنا
لاقتصار تربيتنا على التعليم الذاتي والمختلف لا على التعليم الاجتماعي
والموحد حتى لو زعمنا ان خروج الامم من ربقة الجهل الى نور العلم يقتضى
التعليم ايا كان مكانه لعدنا الى نفس النظرية الاولى من حيولة هذا التعليم
في نمو الجامعة القومية بالسرعة التي تقتضيها الحالة الحيوية في البلاد
الان لانه يستلزم التباطىء واعني بهذا التباطىء اضطرار المجموع
الى التقلب على صور شتى واشكال عديدة قبل ان يرسخ على قاعدة ما
ويتخذها سبيلا لوحده . في حين ان توحيد التعليم خصوصاً لامة
ذات اخلاق وعادات وعقائد واحدة يجمع بسرعة مذهشة افرادها
تحت ظلال قومية واحدة لا تحتاج الى زمن طويل لرسوخها وهي
راسخة باصولها وفروعها على قاعدة متينة . وبديهي ان الشعب
الذي يحصل على المعارف الواحدة تتربى فيه المدارك وتترقى على وتيرة
واحدة تجعله يشعر من نفسه بدافع قوي يحمله على استعمال شؤونه في
الوجه النافع لامته أي على الانضمام لبعضه بعضاً انضماماً يجعل النجاح
شاملاً جزئياته وكلياته وكل فروع مرافقه وهذا ما يعبرون عنه
بالجامعة القومية . اما ما يذهبون اليه من أن التعليم الذاتي والمختلف هو
خير انواع الاصلاح في المجموع لبقاء الانسب من خواصه العالية بعد
احتكاك الافكار والمبادي المتناقضة فهو مخالف للحقيقة لان طلب
اصلاح المجموع بمعناه الكامل ما وجد الا لنقائص هذا التعليم الذي

يفقد فيه الشعب حيثيته ومكانته من تشتت ميوله واتجاهات قلوبه. ولا سبيل الى جميع الشتيت بعد رسوخه والعقيدة باستحسانه خصوصاً في امة هي اكثر الامم جنوحاً الى العاطفة الذاتية والى ما من شأنه تعزيز الانانية التي استحكمت في صدورهما وكادت ان تصبح فطرة فيها أو شريعة تسير على سننها.

هذه هي النتيجة المنطقية للمقارنة بين التعليمين الذاتي والموحد . وقد تكون النتيجة الحسية اشد وضوحاً في سياق البحث . ولعمري لئن اهاب القرن الماضي لامتنا الحرية التي دفعته الى الجهاد لترقية مداركها حتى تنفست من كربات الجهل وخرجت الى الحياة والنور فما اولها اليوم بان تنظر في هل عاد عليها هذا الجهاد بالخير والنجاح بالضرورة الجواب بالسلب لان الاكثرية افادت الامم التي اختلفت الى مدارسها وتهذبت على تهذيبها وكبرت على مبادئها واخلاقها وعاداتها حتى عرضتها لاشد مضانك الحياة الاجتماعية التي تتصور لنا باجلى صورها في بيوتها ومعابدها وعلى الاقل صار لها حكم وتأثير في تلك الحياة بصيرورة عدد كبير من ابنائها يعيشون مع عائلاتهم عيشاً كله نكد وتنغيص ويعيبون عليها نظام معيشتها وربما كان خير نظام موافق لحالة الامة والبلاد . ذلك فضلاً عن اشتداد الخصام بين الاشقاء الذين فرقهم يد التعليم في المبادئ والميول فضلاً عن الطوارئ التي يريدون ادخالها على المعتقدات الدينية وفي كثير من

الامور التعبدية الفعلية الى اخر ما هنالك من ضروب الاختلافات والمتاعب التي صيرت حياتنا سلسلة نزاع مستمر لا تشفى غليلا ولا تتعدى حد المائشات والجدال . ولا اظن ان فينا من ليس في نفسه اشكال عظيم لمعرفة افضل الخطط واقوم المبادئ التي يجب ان يسير عليها لتعدد صورها في مجموعته واختلاطها في مخيلته . وقد جرب جماعة المصلحين الذين اظهروا الى عالم الوجود رجلا العظيم المغفور له بطرس غالي باشا طرقاً متعددة في ازمة مختلفة للتوفيق بين المجاري الفكرية الكثيرة التي اوجدها التعليم الذاتي والمختلف حتى يكونوا رأيا مليا عاما يكون ملائماً للظروف والاحوال فلم تنجح مع الاسف طريقة واحدة اذ النجاح لا يدرك بين فئات متفاوتة في الاخلاق والصفات متباينة في المبادئ والعادات وناهيك بالفروق العظيمة بين المتعلمين في مدارس الفرير واليسوعيين والانكليز والامريكان وغيرها وتخلقهم باخلاق تلك الامم التي الحقهم بها العلم وسرت بينهم عاداتها

ولو انتقلنا الى القرون القديمة وحولنا النظر الى الشعب حين اشرف على الانحطاط لرأيناه في أتم حالات الوحدة بالرغم عن الارهاق الذي كان يحول دون تأخيه والانانية التي كان واقعاً تحت سيطرتها. ذلك لان الاسلاف كانوا يتعلمون في امكنة واحدة على نسق واحد ويهذبهم مهذبون من اخوانهم تهذيباً دفعهم بقوة الاختلاط والمعاشرة الى محبة امتهم ووطنهم والى المحافظة على عوائدهم الاصلية وعقائدهم الصحيحة

وهي صفات وجيئة ان لم يستطع الاخلاف صيانتها فلانهم انكبوا على التعليم في المدارس الاجنبية حتى صرقتهم واضففت رابطتهم وذهبت بجوهر قوميتهم. ونظرة واحدة في قياس حالتنا الحاضرة بحالة العناصر المحيطة بنا التي تتعلم علومها الاولى في مدارس اهلية واحدة تكفي للاقتناع بان حركتها الاصلاحية العامة ارقى بكثير من حركتنا وقوميتها كذلك امتن واكمل ولو مع بقاء اكثريتها في الجهالة . ولا غرابة في هذا فانا لو فحصنا التاريخ عن جوهر الحوادث والوقائع الذي جعل العيش والرفاهية في امم اقل من سواها علما وادبا ونشاطا لا نقدنا الى نفس تلك النتيجة وهي التعليم الاولي الموحد لان فضيلته استبقاء نفس الخواص الطبيعية التي يترتب عليها حماية العادات والعقائد من الطوارئ الخارجية وانهاض الشعور القومي بانكار الذات في سبيل منفعة الامة اي بعناية المتمولين في مساعدة العاملين وتنشيطهم وجهاد العاملين في منفعة امتهم بلا قيد ولا جزاء . وأراني وصلت الى نقطة مهمة وهامة في آن واحد وهي انكار الذات وتلك معدومة بيننا لاسباب كثيرة اهمها اربعة وهي

اولاً -- جهل الوالدين بتعليم اولادهم تعليما يؤهلهم ان يكونوا رجالا يعملون لخير امتهم

وثانياً -- تعجيز نشاط العاملين بتثبيط عزائمهم وجهادهم تارة بالانتقاد المربى على الحسد المضر وتارة بعرقلة نجاحهم ووضع العثرات في سبيلهم

وثالثاً - انحراف السراقة عن مساعدة المشروعات الخيرية والعمامة .
ورابعاً - اعتماد الامة على الاموال الموقوفة في اصلاح احوالها .
فاما السبب الاول فابعد من ان يتغير الى الطريقة المرجوة ما لم
تتغير تربية الامة الى تربية راقية في الحياتين العلمية والعملية . ولا سبيل
الى هذا التغير الا بالنقائص التي تكتنف مدارسنا والصعوبات التي تعترض
سيرنا الا بثلاثة امور جوهرية الاول ان ننزع حب التوظيف من نفوس
الناشئة لتعتاد على العمل باستقلال حتى تتربى على الحرية لا على الاسر وحتى
تتعلم بتفهم وتبصر لا بتصفح اوراق الكتب وحفظها عن ظهر قلب لتنمو
فيها عاطفة الجهاد التي تؤدى الى تكبير النفوس واشعارها بالواجبات عليها
نحو امتهانها ووطنها - والامر الثاني ان نحرض حملة الشهادات الابتدائية الذين
لا يستطيعون اتمام علومهم اما لفقر او لعوارض اخرى على تعليم
الصنائع والفنون حتى ينفعوا أنفسهم وينفعوا أمتهم لان حياة العامل
اهناً من حياة الموظف الصغير ومن مستلزمات الهناء الشعور بحاجيات
الغير المؤدى الى الشعور العام . ولدينا ادلة كثيرة على ان اجرة العامل
الشهرية اضعاف ما يتناوله الموظف الصغير الذي نراه فوق اسره وتقينه
بنظامات على الغالب جائزة يعيش منه بعض العيش ويوقعه الراتب الضئيل
اما في التقدير واما في الاستدانة وكلاهما من اكبر عوامل الشقاء .
وناهيك بمن تتأصل في نفسه ضروب المتاعب والاشجان التي لا تبقى
لديه وقتاً للنظر في تحسين احواله والخروج من ضيقه فكيف باحوال

امته وهي تحتاج الى تضحية اوقات واموال والاصر الثالث ان يجعل متمولوننا الغرض الاولي من تعليم ابنائهم تهيئتهم لان يكونوا اختصاصيين في العلوم الزراعية والكيمائية والاقتصادية والتجارية حتى يزيدوا غلات الاراضي والثروة من جهة وحتى يفسحوا لاءاء امتهم الاعمال المستقلة التي تريدبم بسطاً في العيش ورغداً في الحياة واذا ما اتبعنا هذا السبيل القويم انهالت علينا الوظائف من جهة بلا بحث ولا عناء وتالفت جامعتنا القومية بلا مشقة ولا تعب. وعلى تنوير السبب المتقدم باموره الثلاثة يتعين تغيير بقية الاسباب . ولا فائدة من البحث في اصولها وتناجها اذ كلها من قبيل المتعارف بين الخاص والعام انما يحسن بي ان اتكلم عن حالة التعليم في المدارس الاجنبية والمدارس الالهية بكلام موجز لاصل منه الى النتيجة التي اتوخاها وهي ايجاد طريقة لتوحيد التعليم فاقول ان الفريق الذي تعلم في المدارس الاجنبية شب على ميول جديدة تخالف طباعنا واخلاقنا وعاداتنا لا من حيثية رقيها او انحطاطها بل من حيثية طورها بصورة لا تلائم حياتنا الحاضرة ولا المستقبلية وهذا ما شرب نفوس هذا الفريق روح الكبرياء ودفعه ان ينظر الى الفرق الاخرى بعين الاستخفاف والاحتقار ويستنكف من ان يجتمع عليهم في بعض امهات المسائل العامة او ان يعد من مجموعهم كانه خليفة جديدة جاءت خيراً من الخلائق . ولا شك في انه لو لاءلك المدارس وتسلطها على اخلاقه وعواطفه قبل ان تختمر بين جوانحه وتصرفها فيها

وفقا لاهوائها وغاياتها بلا معارض ولا منازع لانهطاط التربية العائلية كما سيجيء لما انصرفت رغبته عن القيام بواجباته نحو امته وبلاده ولما نسي حقوقه الشرعية بينهم ولما تعالى متكئاً او متفرنساً او متمركزاً واني لست في حاجة بعد ذلك الى ايراد ادلة جديدة على نتائج هذه التعاليم وقد اوضحت تماماً في مبدأ البحث ماهيتها وضروب النزعات التي تتولد منها والانحطاط الهينوي الذي يترتب عليها.

أما الفريق الذي تعلم علومه الاولية في مدارسنا الاميرية والاهلية فقد شب على نفس طباعنا واخلقنا وعاداتنا وعوائدنا فعرف واجباته نحو امته ووطنه وادرك كيف يعامل اخوانه وبأي الطرق يستميلهم اليه لسابقة الالفه والاختلاط من جهة والاخذ والعطاء من جهة اخرى . وما وجدت هذه العوامل بين امة من الامم الا وكانت من دواعي الرابطة واحياء الجامعة القومية بين افرادها . واذا ما ثبت ان المدارس الاهلية هي ادعى لانجاح مقاصد الوطنيين من غيرها فنحن نؤكّد ايضاً ان هذا النجاح المكفول الماس بحياة الامة جاء من طريق تعليم ناشئتها تاريخ بلادها وعوائدها تعليماً وافياً بالغرض المرجو من التربية اي بالغرض الذي لا يتحدى غير تقرير المبادئ التي توافق المصلحة العامة واتحاد ميولها في سبيل واحد اي نفس الجامعة التي ننشدها من توحيد التعليم . انتهىنا الان من سرد طرق التعليم وانتهينا كذلك من تشخيص التقلبات التي تتناول الاقباط ولم نزل تتناولهم لتفرقهم في التعليم وانتهينا

ايضاً من وصف فئاتهم التي تعارفت فتعادت واقواءهم التي تآخت
فتجافت الى حد العداء و اباداة بعضها بعضاً بنسخ مدنية فريق منها مدنية
فريق اخر او بمحو عوائده وعقائده حتى صاروا كما كانت بابل في
عصر البداوة حينما بلبل الرحمن السنة اهلها فباتوا لا يفقهون لغة
بعضهم بعضاً وتفرقوا في عرض الارض يطلبون امما واقواما. وعلى هذا
القياس قل عن كل امة لا تلتفت الى مسألة اجتماعها وتوحيد تعليمها
وتقليدها الامم الاخرى تقليداً اعمى يذهب بقوميتها ويحصرها ضمن
دائرة ضيقة تزيدويلات حياتها وتجعل عيشها الرغيد شقاء وتنحيصاً

بيد ان هذه الحالة لا تحول دون اعترافنا من وجود فريق حي بيننا
وهو الفريق المتخرج على الغالب من مدارسنا والاكثر فطنة وذكاء
يسمى للمحافظة على كيان الامة وصيانة حيويتها لشعوره ان التنازع الشديد
في البلاد يقتضي وجود تلك الجامعة القومية . ولئن تفاعل هذا الفريق
خيراً بظهور المناصرة الوقتية الحاضرة وعدها من بوارد الارتباط
والوحدة فاني لا اعد لها في شيء من ذلك الا كما اعد تدين العواجز صادراً
عن عزيمة ثابتة و ارادة قوية . ولا يكبرن هذا الرأي على احد لان
المناصرة الوقتية يصح أن تتحقق فتصبح رابطة ويصح ان تنفرط
فتصبح في خبر كان .

هذا من حيثية المجموع اما من حيثية الافراد فقد نبغ كثيرون
من مشرعين الى اختصاصيين في العلوم والفنون والاداب واللغات

المتقدمة ويمكنك ان تلقي بنظرة حولك فتجد النوابع من اخواننا لا
ينفكون عن التنافس لمنفع امتهم وبلادهم تارة بالمؤلفات الثمينة وتارة
بالمشروعات الحيوية وتارة بالمحاضرات العلمية والادبية واخرى
بالاصلاحات المتنوعة التي تساعد على نمو الآداب والثروة والصنائع
والفنون فاين تلك النفثة الحية من ذلك الجلود المخيم على نوابغنا
الذين ينزفون بين جدران منازلهم وعلى مقاعد مكاتبهم . بل اين ذلك
الشعور القومي من ذلك الشعور الذاتي الذي دفعنا الى جعل الحياة آلة
للكسب والرزق . واني وان كنت ميالا لنشر احصائية عن اعمال نوابغنا
ونوابغهم ولكني تركت نشر ذلك للمؤرخين الذين يستنبطون تواريخ
الامم من مؤلفاتها ومشروعاتها واعمالها ويتخذون منها ميزانا يقيسون
به حياتها ليحكموا علينا بالموت والجلود قبل ان نحكم على انفسنا بالحياة والنهوض
على انه بصرف النظر عن تلك النتائج ارى انه لا يجب ان يهولنا تفاقم
الضعف والفتور في جامعتنا القومية ولا الجلود والموت في نوابغنا
واقاضلنا بل ينبغي ان نسترجع نشأتنا ووحدتنا بتعليم ناشتتنا العلوم
الاولية في مدارسنا الوطنية على مختلف انواعها حتى نكون في صدورهم
قبل ان تقذف بهم في ميدان الحياتين الاستقلالية والعملية مبادئ
واحدة راسخة لا ترزعها المبادئ والميول الغريبة مهما كانت قوتها
لنبرهن للملأ اننا امة حية راقية الشعور والاحساس شريفة الاميال
والمقاصد عارفة للبلاد حقوقها وللوطن واجباته .



إذا كان رقينا الحديث لم يزل في طور الصبا واول مراتب الارتقاء
الزمنى فهذا لا ينزع شيئا من انشراحنا ولا من ابتهاج صدورنا حينما
نتأمل في حالتنا الحاضرة ونراها احسن بما لا يقاس ممن تقدمونا وان
جاز علينا التدلي والانشطاط ممن نعيش في وسطهم
على اني وان اعتنيت كثيراً في الفصل السابق وشرحت طرق
التعليم وضرورة توحيدها بوجه عام حتى لا تقضى شخصية الامة فاني
اقصر بحثي الان على مدارسنا الحاضرة ووصف علمها ووصفها كاملا مستفيضا
كمن يصور صورة تعرف بمجرد النظر اليها انها مطابقة للاصل والواقع
ولا بد لي قبل الشروع في هذا البحث ان ابدأ بتمهيد بسيط اذكر فيه
عدد الذين يتعلمون بيننا بالنسبة لعدد الذين يتعلمون بين اخواننا واهمية
النسب المطردة بين العنصرين ونتائج تأثيرها في نظم الحياتين الحاضرة
والمستقبلية وتنازع البقاء الشامل لكل منهما حتى يمكننا معرفة ما سنستقر
عليه وما اذا كانت تعاليمنا الحاضرة منتجة وذات انتفاع ومدارسنا اهلا
لتعليمنا ام تحتاج الى تحوطات فعالة لسد الثلمات الحاصلة في دوائرها .
وكل هذه مباحث وجيهة يجب الالتفات اليها طالما كانت حياة الامم
تتوقف على حالة تعليمها وتقدمها على تقدم هذا التعليم ورفقه بين ابنائها .

(١) عدد القارئین والمتعلمين والاميين

اثبتت الاحصائيات ان عدد المتعلمين بيننا اكثر بما لا يقاس بين اخواننا باعتبار النسب العددية واقل بما لا يقاس باعتبار النسب بين عدد المتعلمين كما يستدل من الجدول الرسمي الآتي الذي استخرجناه من مصلحة عموم الاحصاء

السن	عدد القارئین		عدد الاميين	
	مسامون	أقباط	مسامون	أقباط
٤ — ٠	٥٨	٣٢	٨٠٣٥٩٩	٥٢٩٩٥
٩ — ٥	٢٥٨٤٩	٣٨٤٤	٧١١٦٦٤	٤٦٠٥٢
١٤ — ١٠	٦٤١٩١	١٠٤٨٧	٥٥٤٩٧٥	٣٢٤٥٢
١٩ — ١٥	٥٢٤٨٢	٨٥٧٨	٤٣١٤٦٤	٢٥٤٥٥
٢٠ فما فوق	٢٥٩٥١٠	٤٤٣١٥	٢٢٤١٣٢٢	١٣٢٥٨٦
المجموع	٤٠٢٠٩٠	٦٧٢٥٦	٤٧٤٣٠٢٤	٢٨٩٥٤١

أما عدد الذين يتعلمون في المدارس من الاقباط فقد بلغوا ٢٨٩٦٢ يقابلهم ٥٤١٨٦ من اخوانهم . وبين هذا العدد ٢١١٨٢ في المدارس التحضيرية والابتدائية يقابلهم ٢٧٧٣١ والـ في المدارس الثانوية يقابلهم ١٩٠٤ و ٢٤٣ في المدارس العليا يقابلهم ١٠٢٥ ومن هؤلاء الاخيرين ٩٢ من ٣٥٠ في مدرسة

الحقوق و٧٣ من ١٩٣ في الطب و٢٣ من مائة في المهندسخانة و١٨ من ١٣٦ في الزراعة و٨ من ٣٧ في الطب البيطري و٢٨ من ٢٠٩ في مدارس المعلمين وذلك عدا الذين يتعلمون في مدارس الصنائع وسنفرد لهم فصلا خاصا و عدا الذين في مدرستي الحرية وفيها ١٠ من ١٠٠ والبوليس وفيها ١٧ من ٢٣٧ وهؤلاء لا دخل لهم في بحثنا ولا في حسابنا .
واني اورد هنا جدولا وضعته يبيان عدد المتعلمين من العنصرين في المدارس الاعدادية والعلما ونسب الزيادة بينهما في خلال الاربع السنوات الماضية وفي خلال العشر السنوات المقبلة

سنة	عدد المتعلمين		المدارس العالية	
	مسلمون	أقباط	مسلمون	أقباط
١٩٠٦	٤٤٠٧٢	٢١٦٧٥	٥٢٣	١٩١
١٩١٠	٥٤١٨٦	٢٨٩٦٢	١٠٢٥	٢٤٣
الزيادة في خلال السنوات الاربع	١٠١١٤	٧٢٧٧	٥٠٢	٥٢
١٩٢٠	٧٩٤٧١	٤٧١٥٤	٢٢٨٠	٢٧٣
الزيادة في خلال العشر سنوات	٢٥٢٧٠	١٨١٩٢	١٢٥٥	١٣٠

والامر الاول الذي يستفاد من هذا البيان الاجمالي انه يوجد في المدارس ٥٠ في المائة من الواحد على كل مائة مسلم باعتبار عدد المسلمين

١٠٢٦٩٤٤٥ بينما يوجد ٤ من الاقباط على كل مائة قبطي باعتبار عدد الاقباط ٧٠٦٣٢٢ اي ان نسبة المتعلمين من الاقباط ثمانية اضعاف نسبة اخوانهم وتعادل نحو النصف تقريباً بالنسبة لمجموع المتعلمين . واذا قارنا نسبة الزيادة بين العنصرين في خلال الاربع سنوات الاخيرة باعتبار ذات الزيادة المتواصلة بين عدد المتعلمين لمعدلت نسبة الاقباط خمسة اسباع عدد المتعلمين وبفرض استمرار حصول الزيادة بين المتعلمين على النسبة المتقدمة نرى حالا ان عدد المتعلمين منا سيصبح بعد عشر سنوات اي في سنة ١٩٢٠ خمسة اتساع مجموع المتعلمين وهنا يجب الالتفات الى ان عدد المتعلمين من اخواننا اخذ في النمو والازدياد كلما تخطو رقاب الاعوام وسيكون من شأنه بالرغم عن عدم توقف سير الزيادة المطردة بيننا تقليل نسبتنا الى ما هو دون النصف . وهذا لو حصل لاخل سير الموازنة الطبيعية الحاضرة واستدعي من باب الحيلة ان ندأب من الان على ترقية التعليم وجعله الزاميا ومجانياً في مدارسنا لتبقى نسبتنا حافظة دواما لمكانتها .

(٢) التعليم العالي

والامر الثاني الذي يسترعي الانظار من هذا البيان هو احصائية المتعلمين في المدارس العالية فانها تدل من القاء اول نظرة عليها ان نسبتنا اقل بكثير من نسبة اخواننا بل آخذة ايضاً في التناقص من سنة الى اخرى . فانها بعد ان كانت تعادل في سنة ١٩٠٦ نحو النصف

تناقشت في هذا العام الى جزء من خمسة اجزاء من مجموع المتعلمين وستعادل في سنة ١٩٢٠ على هذا القياس جزءاً من ١٠ اجزاء . وهذا التقدير التقريبي الذي لا يتناول طبعاً الستمائة طالب الذين يتعلمون من اخواننا في كليات اوربا يدل على ان افتقارنا الى التعليم العالي اشد من افتقارنا الى التعليم الاعدادي بكثير ويؤيد رأي الذين ذهبوا الى ان عنصرنا لا يزال بعيداً عن بلوغ المنزلة التي يستطيع بها المنافسة مع اخواننا او الدخول معهم مداخل التنازع والتسابق في ميدان الحياة العملية حفظاً للتكافؤ واستبقاء للوجود الذاتي .

ومع ذلك اترانا التفتنا حوالينا ونظرنا الى هذه الحركة العلمية كلا! انا لم نلتفت ولكننا شعرنا شعوراً ذاتياً بعدم ضمانة مستقبلنا امام تلك النهضة العالية التي اخذت تتسع وتنتشر في صفوف اخواننا حتى اوجدت جيلاً راقياً منهم بعث في مجموعهم روح الاقدام والنشاط بحيث حول ميوله القديمة التي كانت معلقة على التعليم في المعاهد الصغيرة الى ضرورة التعليم في المدارس العالية والاخذ بنماذج الغربيين في العلم المنتج وبذلك انتقل بمهارة فائقة من حياة مجردة عن معارف الاجيال الحديثة الى حياة علمية راقية ترمي الى نيل هذه المعارف للوصول الى المدنية الصحيحة . ولا حاجة بي الى ذكر ما آل وسيؤول اليه امرنا قبل وبعد هذه الحركة العظيمة انما غاية ما يمكن ذكره هو ان نستبدل السكون بالحركة والقفود بالسعي المتواصل لكي نسير واياهم جنباً لجنب

في انجاح البلاد واسعاد العباد ولكي لا يتفوق عددهم على عددنا لا من حيثية النسبة العددية بل من حيثية عدد المتعلمين انفسهم لانه من الخطأ في القياس ان نتخذ النسبة العددية دليلاً على التقدم او التأخر طالما لم نكن ولن نكون امام عنصر واحد في استغلال خيرات البلاد بل امام عدة عناصر وابناء امم شتى ينافسوننا في كل مرافقنا وحيويتنا منافسة شديدة لا تحتاج الى ادلة او براهين لاجلاء مظاهرها .

ولقد يحسن بنا والحالة هذه ان نتساءل أو نسأل انفسنا ماهي النتيجة اذا استمر اخواننا يعززون قوميتهم بالتعاليم العالية وبتخريج الاختصاصيين في كل علم وفن ونحن اذاؤهم نتخذ النسب العددية الوهمية لبيان مركزنا العالمي والادبي . لا نتيجة سوى ان ننحل ونفقد وجودنا ونسقط في الهاوية التي اعدت لامثالنا من الخاملين . وبديهي انه مهما وجدنا الان من الصعوبات في ان نلي عملاً من الاعمال الاهلية او الاميرية فانه لاقل بكثير مما سنجده غداً حيث تكون الاعمال خاصة بذوي العقول العالية واهل الادراك الصحيح . . ويمكننا ان نعتبر ذلك في مصر القديمة فانه لما اراد الخلفاء ونوابهم على البلاد ان يجزءوا مقاليد الاعمال بين الوطنيين على السواء لم يستطع اخواننا ان يقوموا بتأدية ما عهد اليهم منها لما انه لم يكن لديهم من القوى الاستعدادية سوى بقية طفيفة . وعوضاً عن ان يستيقظوا من رقدهم بعد ان قبضنا على زمام القوات الاجرائية والتنفيذية كانت تتناقص فيهم المهمة عن ذي قبل لما

استولى عليهم من الحيرة والاندھال في مجارات تقدمنا الفعلي ولما ان
جميع ميولهم كانت موجهة الى العمل ولم توجه واحدة منها الى العلم .
واني لا اقول هذا القول من قبيل الغرض او الاحتمال ولكن من قبيل
الحقيقة التي لا يختلف فيها واحد من ذوي النظر البعيد والخبرة الناضجة
وقد يكون من المناسب ان نذكر هنا تلك الضجة الهائلة التي أقامتها
الصحف حول فريق من السراة اندفع من تلقاء نفسه لتعزيد العلم
العالي بارسال بعثه عامية سنوية من طلابنا الى أوروبا توصلا الى تخريج
فريقي من الاختصاصيين والنوابغ لنذكر أيضاً انه قد صرت الشهور ولم ينفذوا
مشروعهم واوشكت السنة المكتبية ان تنتهي قبل ان يظهروا دليلاً
واحداً على انهم اسبق الى العمل منهم الى القول كأن حسبهم من كل
مشروع يتكبرونه أن تهلل لهم الاقلام وان تفسح لهم الصحف مجالا
للمدح والاطراء فتغنيهم عن العمل وعن ارضاء ضمائرهم بخدمة أمتهم
والوفاء بما هم به واعدون .

وليس هذا المشروع هو اول مشروع حيوي دفن قبل أن يولد
فقد سبقته مشروعات أخرى الى عالم الانحلال اذا اعدنا عليها النظر مرة
هزت عواطفنا و هيجت ماضي شجوننا واثبتت علينا اننا كلنا أقوال في أقوال
وعجيب اذا كانت الاقوال التي لا تشملها الاعمال هي التي اوقفت تقدمنا
وحالت دون امانينا الى الآن فكيف تكون هي الموصلة الى هذا النهوض .
ألا يكون بقاؤنا على هذا الجوداء هو استبقاء لعلة انحطاطنا وخولنا .

هو كذلك وسيكون حتى نلمس رد الفعل الذي لا بد وان يتلو الجمود أمام الحركة وعندها لا تنفع يقظة ولا يفيد انتباه .

على ان وفاء أولئك السراة بوعدهم فيما لو وفوا لا يكفي وحده لهوضنا طالما كانت رغبات طلابنا منصرفة الى اتخاذ التعليم وسيلة للنجاح في الامتحانات النهائية حتى يحصلوا على ما يسمونها « بالديبلومات » ويلبوا عملا من أعمال الحكومة أو يشتغلوا في الطب أو المحاماة اشتغالا سطحيا مجرداً عن كل استنتاج علمي أو ملاحظة عملية في تكييف كنه العمل الذي هم فيه يشتغلون . وبناء على هذه القاعدة التي ساروا على مبادئها انقطع وجود النوابع والعماء بيننا وانقطع حبل التأليف والكتابة وضاعت الروح الادبية وقتل العلم ومحبة العلم حتى لم نجد نهضة صحيحة وبنينا نخشى السقوط في هاوية الجهل والغباوة بعد ان سقطنا في هاوية الجمود العقلي من افراطنا الكلي في اجهاد مواهبنا العقلية على حفظ العلوم والفنون قبل ان نصل الى ثمرتها وقبل ان نتحقق من مشتملاتها تحقيقاً علمياً وعملياً . ويمكننا ان نجتزئ من البراهين التي اجمناها بالمقارنة بين عدد النابغين والاختصاصيين في العلوم والفنون منا ومن اخواننا لتظهر لنا الفروق العظيمة بين فئة متعلمة بالمعنى الصحيح وفئة ليس لديها ما يدل على تعليمها غير اللقب اللاصق بها عن غير استحقاق صحيح ان بيننا كثيرين من المتشرعين والانجباب الاغرار في القضاء والمحاماة ولكن الحق اقول لكم اننا لم نبلغ شأواً اخواننا في العلوم

الهندسية والطبية والفنية ولم تنتج من امثال نوابغهم المشتغلين في الاداب على انواعها . وقد لا اقصد بقولي هذا ان انقص من قدر حملة الشهادات العالية بيننا ولا ازعم ان الفريق الموجود من نوعهم بين اخواننا كله من النابغين والاختصاصيين وانما قصدي الوحيد ان اظهر التفاوت الحاصل فعلا بين ابناء العنصرين في التعليم العالي حتى تستفزنا الحالة الى تبديل رغباتنا الضعيفة الموبوءة برغبات قوية صالحة والى دب روح الغيرة في صدور الاغنياء لارسال البعثات العلمية الى اوروبا وبحث الحكومة ورجال الجامعة المصرية بصورة رسمية على ضرورة جعل نصيب للاقباط في ارسالياتها العلمية والفنية طالما كانوا من ابناء البلاد واذا اتى هذا الحين ونرجو ان لا يكون بعيدا انقلب ضعفنا الى قوة وجهودنا الى نشاط ونشاطنا الى نبوغ يجعلنا مع اخواننا في مستو واحد يوصلنا واياهم الى الغرض المرجو من الحرية والاستقلال . اللهم امين .

(٣) التعليم الاعدادي

اسلفنا القول الى ان مصر في عصر نهوض عجيب ولهذا النهوض حد لا بد من الوصول اليه اجلا او عاجلا ونريد الان اننا لو نظرنا الى نتائج هذا النهوض لوجدناه يستدعي مزيد رعايتنا واهتمامنا حفظا للتكافؤ وصيانة للمستقبل القريب . ولعل الذين يذهبون انه لا بد من حصول التوازن يوما ما بين عدد المتعلمين من العنصرين يذهبون ايضا الى انه لا بد من ترجيح كفة اخواننا علينا لرقى مدارسهم عن مدارسنا

اولا ولتوجيه مجالس المديريات جل عنايتها الى تعليمهم وتشقيفهم ثانيا ولاهتمامهم الشكلي بجعل التعليم الزاميا ومجانيا ثالثا ولانهم اكل مناعناية بامر تربية لاحداث رابعا . على ان كل هذه الفروق العظيمة لايجب ان تهولنا الى درجة اليأس ولا ان نشبط عزائمنا من النجاح اذا التمسنا نفس الطريق الذي التمسوه بتنظيم مدارسنا واصلاح احوالها حتى نستطيع ان تؤدي وظيفتها وان تحمل كل ابنائنا فيما لو دخلنا في حركة متسعة تحول فيها امكنة التعليم عن قبولهم . ولا يمكن ان تنتظم المدارس الاعدادية وتكون قادرة ان تعطي التربية العمومية حقها الا اذا نفذت فيها الشروط الاتية وهي :

- اولا — جعل التعليم الزاميا ومجانيا.
- وثانيا — جعل الغرض من التعليم انشاء القوة الحاكمة في نفوس الاحداث ليتعودوا منذ نعومة اظفارهم الاستقلال في سيرهم بعمارهم الذاتية وتحملهم تبعه اعمالهم وليعرفوا انهم اعضاء في جسم الامة وان عليهم واجبات نحوها لا بد من قضائها .
- وثالثا — جعل حياة الاحداث مختصر حياتهم في بيوتهم وذلك بان يكون المعلمون على مواصلة وامتناع بهم فيهتمون بكل شأن من شؤونهم ويرشدونهم في كل حركة من حركاتهم
- ورابعا — ضرورة غرس روح النشاط والاجتهاد والفضيلة وحب العمل والموادة في نفوس المتعلمين

وخامسا - ضرورة الالتباد الى ميل الولد وهو في صغره ليوجهوا عقله الى العلوم أو الفنون أو الصنائع التي ينجح اليها بطبيعته
وسادسا - اختيار المعلمين من اهل العلم والصلاح والمتدربين على التربية والتهديب لان عيوب المربي هي اهم الاسباب العظيمة لسقوط آداب المتعلمين

(٤) مدارسنا وعيوبها .

اقسم بالله اني لم اجد في نفسي حيرة من التوفيق بين المتناقضات مثل ما وجدت في مدارسنا لتعددتها وقلة فوائدها ولكثرة نفقاتها وضعف تعاليمها حتى لا اغالي اذا قلت انها مختلة معتلة يتناوبها الانحطاط في كل شؤونها واحوالها وما كان سيرها على بروجرام نظارة المعارف الا حجابا كثيفا تخفى به عن الابصار عليها الشديدة التي لا تبرأ الا اذا تعهدوا اولو الامر بانجمع دواء وانجح علاج .

وقد تختلف هذه المدارس باختلاف اهل الهيمنة عليها فمنها المختص بالاوقاف وبالجمعيات ومنها المختص بالوجهاء والافراد ومنها الكتاتيب المبعثرة العديمة الفائدة . وكلها مزاود الا مانجا منها بقوة من الله وبروح من عنده دبت في صدور العاملين من اعضاء جمعية التوفيق القبطية وفروعها ومن اعضاء بعض المجالس المليية ومن جماعة الوجهاء الذين نظموا المدارس التابعة لهم وصيروها لائقة نوعا للتعليم . اما عيوبها ونقائصها بوجه الاجمال فاليك بيانها .

اولا - تفرقها بغير رابطة ادارية تربطها بعضها ببعض حتى ما كان
منها تابع لسلطة واحدة . وهذا ما دنا الى استدامة الخلل والفوضى
 في كل شؤونها واحوالها والى وجود التفاوت بينها بحسب استعداد
 الجهة المشرفة عليها واقتدارها العلمي والمالي واذا ما كان هذا التفاوت
 هو اكبر اشكال الضرر على التعليم في المدارس الاهلية كما قال المسيو
 جبرائيل شارم الكاتب الفرنسي حينما زار مدارسنا منذ سنوات
 فالحاجة الكبرى لتدارك هذا التفاوت وما يتخلله من العيوب هي
 تشكيل ادارة منظمة لتكون خير ضامن لربط هذه المدارس ببعضها
 وترقيتها الى مصاف المعاهد الاخرى . ولئن لم يتيسر بسط نفوذها
 على المدارس التابعة للافراد والوجهاء فمن السهل جدا تسيطرها على
 مدارس الاوقاف والجمعيات التي هي في اشد الحاجة الى هذه الرابطة
 الادارية لينتفي منها الخلل وتساس بيد حكيمة الى الكمال .

وثانيا - نقص تعاليمها التي تفور سريعا وتفور سريعا وليس العيب
 في هذا النقص على شكل الكتب ولا على اصل العقول واستعدادها
 وانما هو في شكل التدريس حيث جعل المدرسون همهم الوحيد تدريس
 الطلبة بروجرام التعليم تدريسا سطحيا مجردا من كل شرح وتفسير .
 وهي طريقة عقيمة اوجدت جيلا من المتعلمين غير حاصل على معلومات
 تامة ولا على معارف ذات قيمة يمكن الانتفاع بها في معترك الحياة .

وما دام الامر كذلك فالواجب تغيير شكل التعليم بصورة ارقى واوسع مما هو عليه الان طالما كانت الغاية الحقيقية من التعليم ليست الاسراع في الحصول على الشهادات بل في الحصول على تربية بطيئة ثابتة تهذب الصفات والممكات وتنقذ الامة من السقوط ابان نهوضها. وسواء كانت هذه الغاية متبعة في بقية المدارس المصرية او غير معمول بها فقد ارى من الضروري السير على مقتضاها في مدارسنا اعتمادا على الفوائد التي ستحصل منها . وتأييدا لرأبي هذا اشير الى ما قاله الاستاذ الفونس اسكيروس الفرنسي في مؤلفه : اذا كان ما ينفق من الزمن في التعليم غير ضائع بل عائدا بالرجع على التلاميذ في استفادتهم من الدروس فلأن نجاحهم في الحياة لا يقدر بطول مدة التعليم وانما يقدر بسهولة ادراكهم ما فيها من العلوم وتحقيقهم بها .

وثالثا - قلة عدد المعلمين وعدم كفاءتهم للتدريس ولو على وجه يلائم الحالة الحاضرة . ولا حاجة الى وصف ما ينشأ عن ذلك ويكفي القول ان المدارس مركبة على اساتذتها فاذا لم يكونوا من اهل الخبرة واكثر عددا وعددا جعلوها عرضة للانحطاط والانحلال .

وقد ظهر ان هذه الخبرة والكثرة لم تتوفر بعد في مدارسنا فان نسبة المدرسين فيها الى الطلبة كنسبة واحد الى اربعين اي ان لكل ٤٠ طالبا استادا واحدا في حين ان لكل ١٦ تلميذا في المدارس الاميرية

و ٢٤ في بقية المدارس الاهلية استاذاً . ولعل القلة المشار اليها هي السبب في جعل نسبة الخائزين منهم لشهادات التدريس وللشهادات الاخرى تعادل خمسة في المائة من نسبتهم في المدارس الاميرية . وهذه النسب هي اكبر مواضع الضعف في مدارسنا لانه كلما كان عدد الاساتذة قليلا ومعلوماتهم بسيطة عن الحاجة كلما كان التعليم جامداً والتربية الناقصة وبالعكس كلما كان كثير او متدرجا كلما سار التعليم والتهذيب في منهاج قديم ومن الغريب اني وانا اكتب هذه السطور دخل علي احد تلاميذ مدرسة الاقباط الكبرى وييده رسالة يشكو فيها بلسان اخوانه من ان المدرسة لم تعين لهم مدرسا للترجمة ولا اخر للرياضة مع ان السنة المكتتية قد اوشكت على الانتهاء . وبسؤاله عما يتعلمونه في الوقت المخصص لهذين العلمين قال بانهم يقضونه في المازحة وتلاوة القصص وغالبا في بيوتهم الا انه يغلب على ظني انهم يقضونه في القهاوي التي تحيط بمدرستهم او في حديقة الازبكية التي يجولون فيها صباح مساء وهم متباطون كتبهم . واني لعل يقين انك لو ذهبت اليها القارىء في هذه اللحظة الى تلك الامكنة لوجدت فيها عددا كبيرا من اولئك التلاميذ المساكين يضحون حداثتهم على مذهب مدارسهم

إما عدم كفاءة المدرسين فواضحة من انحطاط التعليم نفسه ولان غا لبهم ممن ينقصهم الكثير من المعارف او من حملة الشهادات الابتدائية الذين يلقنون القواعد والتعاليم المبهمه والمجمله ويفرضون على

التلاميذ قبولها بلا بحث ولا مناقشة بل وكثيرا ما يشيرون عليهم بحفظ عدد معلوم من صفحات كتاب من الكتب التي تشمل بروجرام التليم بدون تفسير ما غمض عليهم فيها من المعاني فيضطرون الى استظهارها استظهارا لا تلبث ان تدنو منه عادات النسيان . وغني عن البيان ان هذا النوع من التعليم اوجد العقم في العقول ونشأ عنه تقييد الامة عن النهوض والارتقاء .

نعم انهم سيقولون ان كثيرا من الاساتذة المتضلعين في العلوم والمعارف موجودون في كل مدرسة من مدارسنا ولكن ماذا يكون نصيب التلاميذ من هؤلاء العلماء الغير المتدربين على التربية والتهذيب ؟ اقول بلا تردد يكون نصيبهم الجمود والقشور من العلوم وهذا ما ينافي الغرض الذي نشده من المدارس والامل الذي نحلم به من احياء نابذة قوية العلم والتهذيب تستدرك ما فاتنا من الضعف والخلول . فحبذا لو التفتت الامة الى هذه المسألة وهبت من كل مكان تطالب المدارس بتعيين المدرسين الاكفاء ليتمكنوا من القيام باعباء هذا الواجب المعضل وليتسنى للطلبة التعليم الصحيح .

ورابعا — عدم وجود الادوات المدرسية اللهم الا مكاتب ملطخة بالمداد ومقاعد ملتصقة ببعضها التصاق الطلبة فوق قوائمها الغير المتسوية القاعدة وجدران وسقف يمتد بينها نسيج العناكب كما يمتد في الطلل البالي مما لا يقتصر سوء اثره في اضعاف ذكاء الناشئين بل لسلبهم

ايضاً حسن الذوق وعدم الشعور بضرورة النظافة واني وان كنت لا اجزم بان هذا كان هو السبب في جعل اكثریتنا تتلبس بالقذارة في اثوابها وبيوتها ولكن مما لا نزاع فيه انه موجب للجمود والجمول وكلاهما يؤدي الى اهمال الانسان مراعاة احواله والعناية بشؤونه الصحية وقد لا يقتصر نقص الادوات على ما تقدم من البيان بل كثيراً ما تجد غرف التدريس خالية من مقاعد المدرسين والواح الكتابة فيضطر المدرس الى الوقوف طرل مدة التدريس والاستعاضة عن الالواح السوداء بالجدار في رسم عليه او يكتب بالطباشير ما يريد بسطه للتلاميذ. هذا مع العلم بان مدرستنا الكبرى خالية من معمل كيمائي تام لا جراء بعض التجارب العلمية فيه حتى تتمثل للطلبة التفاعيل الكيمائية وتترأى لهم نتائجها فيدركون بالحس والعيان السر في استحداث الجواهر والمواد التي تتعاور بعضها قبل صيرورتها النهائية لا ان يحفظوها كما هو الحال الان حفظاً عقلياً يضطرون فيه الى اجهاد عقولهم للبحث عن مادة او جوهر من الجواهر غاب عن ذاكرتهم. وكل تلك النقائص التي اجملناها يجب ان تستفز العقلاء الى مطالبة ادارات المدارس بجعل غرف التدريس نظيفة ومقاعدھا انظف واكثر ملائمة للنظام حتى يشفر التلميذ بضرورة النظافة ويعيل الى النظام في كل احواله وشؤونه كما ولا بد ان يستنهضوا همها او يرغموها على تزيين جدران الغرف بالخرائط الممثلة لعلم تقويم البلدان وبالصور

الممثلة للحيوانات البرية والمائية وبايجاد امكنة للتدريب العملي علي مثال
ما هو موجود في بقية المدارس لتحصيل معنى الكون في اذهان
الناشئين .

وخامساً - شدة ارخائها العنان للطلبة والاساتذة واباحتها لهم
الغياب والحضور في اي درس وفي اي يوم بدون مؤاخذه ولا قيد .
ولست ادري ما الذي يستفيد الطالاب من هذه الحرية المبتذلة وهي
تدفعه الى البطالة وتنزع منه الثبات والاقدام والنشاط والشجاعة بل
تنزع به الى خبيث الرذائل كالغش والكذب والنفاق والحيلة وارتكاب
الدنايا التي كلما توغل فيها كلما اشتدت نشوته منها واصبح من الصعب
تقويم اعوجاجه وصد تيار اهوائه وقد لا تقف الاباحة بالطالب عند
هذا الحد من الفساد بل قد ترج به في مواطن اللهو الليلي ومنحنيات
الشهوات بدون وزاع من نفسه ولا مبالاة بوالديه اللذين كثيراً ما
يجهلان خطته وسيره وله من ضروب الحيل والاكاذيب التي تعلمها ما
تحول دونها في الوقوف على احواله . اما اذا اتفق لوالد ان تلاقى بولده
عرضا في اثناء التدريس وسأل المدرسة عن اسباب تهاونها في
امره لكان مطلق جوابها المشغولية لكثرة الطلبة او انها عفت النظر
اليه لعدم استطاعتها ضبط اهوائه . وهذا الجواب الذي هو اقبح اعتذار
يقدم من معهد علم وتهذيب يجب ان يستفز نفوسنا ويدفعنا الى

المطالبة بوضع نظام كافل يحول دون هذه الاباحة صيانة لاخلاق الطلاب وحفظ لمستقبلهم .

اما مسألة ارخاء العنان للاستاذة فترجع الى ضعف ارادة النظار وفساد الاداره المدرسية فساد جعل المعلم الذي كان يعتبر نفسه ابامريا وكفيا لاقيا يفرغ كل قوته وجهده ليصوغ من تلك العقول اللينة والنفوس الفتية رجالا عالمين مهذبين عاقلين يفتخر برجوليتهم ونبوغهم فاعلا يكلف التعليم ليعطى الاجرة وينقد الراتب فلا يبحث في وجوه نفع الطلبة بل في كيفية نيل راتبه وما دام انه يناله على كلا الحالين في الحضور والغياب فقد ازداد اتهامه لا وعلم الطلبة الاباحة التي يعيش فيها ولولم يخلق لاجلها . ولذلك يجب قبل اصلاح المدارس اصلاح المدرسين وقبل اصلاح هؤلاء يجب اصلاح النظار واصلاح النظار لا يكفي اذا لم يكونوا تحت ادارة قوية تدرك اهمية عملها كما اجهلنا في مبدأ الكلام .

وسادسا - ضيق ابنتها وسوء اختيار مواقعها . وهذا عيب من اكبر العيوب في معاهد التدريس بل وخطر من اكبر الاخطار يلحق الضعف والحمول والامراض الادبية والجسدية بالتلاميذ . ولست ادري كيف ينتظر منها التعليم الراقى والعقول الراجحة والناطقة الهوية وهي على تلك الصورة وكيف يستطيع الاقباط ان يروا هذه الكهوف التي اعدت لتعليم ابنائهم ويغمضوا الجنون عنها وكيف غاب عنهم تلك الحقيقة

المقررة من ان حشر التلاميذ في غرف ضيقة قدرة لا تدخلها الشمس ولا يعرفها الهواء مما يضيق فسحة المجال للتصور ويضعف الذكاء الفطري ويقضي على الصحة والاخلاق قضاء مبرما. ذاك فضلا عن كونها واقعة في وسط ازقة قدرة تنتابها الامراض والاوبئة او في وسط اخطاط تحيط بها القهاوي من كل جانب وتضطر اولئك المتعلمين المساكين الى انتياب اماكنها اضطراراً فعلياً جرياً على قاعدة الاباحة وفساد الادارة وليت ضرر تلك المعاهد قاصراً على تعطيل مستقبل الطلاب واتخاذ قواهم بل هو شامل ايضاً لكثرة وفياتنا التي جعلت معدل زيادة عددنا زهيدا جداً بالنسبة لمعدل اخواننا وامانا الاحصائيات الرسمية تشير الى ان غالب المتوفين من الاقباط هم في سن الشباب ومن الذين انتابوا هذه المدارس صفاراً فتخرجوا منها شبانا في سن الشيوخ لا تلبث ان تنزل بهم الامراض التي تملكهم الى القبور . ولا أشك قطعياً في ان من زار مدارسنا والقي بنظرة على تلاميذها واساتذتها لوجد وجوها شاحبة واشباحاً تعيد الى ذهنه صورة من صور عمال المناجم الذين انهكهم التعب واقسم عليهم بالهلاك . اما انا فاقسم على المتولين امر التربية ان يدخلوا الى هذه المقابر التي اعدوها للاحداث شعاعاً من اشعة الحياة . اقسم عليهم وعلى عقلاء الامة الغيورين على صالحها ومستقبلها والمحبين لتقدمها وزيادة عددها بل واقسم عليهم لآخر مرة ان يرحموا ابناءهم من الامراض ويشفقوا على شبابهم من الموت . واني لعلني يقين

ان هذا القسم لا بد وان يحرك فيهم عاطفة الانسانية للقيام بتنسيق
المدارس على شكل صحى ومن ذا الذي تهدد حياته فلا يرتعد ويذعر
بال ومن ذا الذي يرى اماله ضائعة ولا يتفطر كمد او قنوطا ويندفع لصيانة
حياته وتقوية اماله .

وسابعا - نقلها الطلاب من فرقة ادنى الى فرقة اعلى بدون اهلية
ولا استحقاق كأنهم آلات تنقل من مكان الى مكان بلا ادراك ولا شعور
وتتحرك بقوة واحدة هي قوة الجهل بامور التعليم . وتلك قاعدة عقيمة
زادت الوالدين جهلا باحوال اولادهم واضاعت حياة الاولاد بلا نفع
ولا جدوى فوق ماسببته من الاضرار الكثيرة لهم والامة وللوطن .
وغنى عن البيان ان تلاميذ السنة الرابعة في مدارسنا اذا حاولوا الالتحاق
باحدى المدارس الاميرية مثلا فلا يقبلون الا في السنة الثانية او مادونها
ومن الخطأ ان نعتبر نجاح المدارس بعدد الناجحين منها في الشهادات
النهائية لانه هذه حجة لا يمكن قبولها بعد ان حققت لنا المشاهدات
العيانية ان غالب الناجحين منها هم من الذين سقطوا في الامتحانات
عدة سنوات او تعلموا في مدارس اخرى ثم اندمجوا في اخريات عامهم
اليها او ممن تعلموا في منازلهم واضيفت اسمائهم الى كشف المقدمين
منها . وكل هذه ادلة يمكن للمعارض ان يستجليها من نفس تلك المدارس
هذا ولا انسى ان اشير هنا الى امر ذي بال وهو اني عرفت

شباناً كثيرين - ويمكنني ذكر اسمائهم اذا احتاج الحال - خرجوا من تلك المدارس بعد اضاءة المال والسنين كما دخلوا ولم يربحوا غير القراءة والكتابة البسيطة اما العلم والتربية فقد تركوها فيها . وقد اضطروا بعد الخيبة الى التعويل على الاعمال الحرة كالتجارة والزراعة ولكن لا ادري كيف ينجحون وهم لا يدركون من تلك الاعمال شيئاً ما . ومع كوني لا انكر نجاح الكثيرين من المصممين في هذه الاعمال الا ان ذلك كان في زمن مظلم ساد فيه الجهل على الامه اما في هذا الزمن فالنجاح مكفول في كل شيء على العقول الراجحة اولا وعلى الرقي الاخلاقي ثانياً وعلى التعلم العلمي والعملي ثالثاً . وكل هذه الحقائق بحسب ان تدفع مدارسنا لتدارك هذا الخطل الفاضح وان تجعل للكفاءة حقاً في نقل الطلاب من سنة الى اخرى مع تشييط الناجحين بالمكافآت المالية وغيرها لتوقظ فيهم روح التنافس الذي هو اكثر القوات تحريكاً للنفوس وهزاً للقلوب وانهاضاً للهمم الضعيفة الخاملة

وثامناً - تسامحها في قبول الطلبة المسنين العاطلين . وهو لاء بالرغم عن ان المدارس لفظتهم من عدادها لفظ النواة فهم بيئة فاسدة اضاءت حدائتها في اللهو والجول واتخذت المدارس في اخريات شبابها تكايا لقتل الوقت لا لتحصيل العلوم . وناهيك بالقدوة السيئة التي يمثلها الطالب المسن لاقرانه الاحداث بل ناهيك بمن يختلف من المدرسة الى الحانة والى مواطن اللهو الليلي مزينا لغيره ممن اوقعهم سوء الخط

في دائرة التعليم معه الى انتيابها والى الانغماس في منحنيات الشهوات
وكم صرع الطلبة المسنون شباناً كانوا على نجابة واداب عالية بارشارهم
الى مواقع الفساد والشروع بل كم اودى اولئك العاطلون بحياة احداث
وصيروهم مثلاً للشقاء والتعاسة وصورة لتمثيل الروعة والالم . وقد لا
اجد قاعدة افطع لتعليم الشرور والرزائل والفساد على انواعه من هذا
التسامح الغريب فخبذا لو اظهرت مدارسنا عاطفة الرحمة - ولو مرة -
وسدت ابوابها في وجوه اولئك المسنين جرياً على خطة الحكومة حتى
تستأصل المفسد من جذورها وحتى يتقي الاحداث شرور الاقران
العاطلين لتنال الشكر والثناء من جميع الادباء والفضلاء

وتاسعا - اهمالها تعليم الدين اهمالاً كلياً. وهذا ما حدا الى اندفاع
الكثيرين عن الطريق السوي وصراط الهدى هو الى زندقة البعض الآخر
وكفره بالله . ذاك فضلا عن الصفات المنحطة وسافل العادات التي تلبست
بعقولنا وتمكنت من صدورنا وجعلتنا نستعظم الاقلاع عنها ولو ان
النظر السطحي يعامنا ان القوة النفسية التي تدفع الى تقهقر الاخلاق
هي نفسها اذا دربت على فضائل الدين تكون مبدأ الوصول الى المحجة
المثلي وبلوغ الانسان ما سمح ان يبلغه من الكمال واذا كان الامر كذلك
نغير لمدارسنا ان تجعل التعليم الديني من ضمن العلوم الاساسية التي
يتوقف عليها نجاح الطالب طالما كان الدين هو المعقل الوحيد الذي يذاد
فيه عن هي التريبة التي اصطلح الاخلاقيون ان يسموها ارتقاء لانها

تنفع حدا للشروع والمنكرات المعلومة والغير المعلومة وتنشر الفضيلة بين الناس

وعاشراً — اهمالها الرياضة البدنية . مع انها اولى الاسباب التي تبنى القوى الجسدية في الناشئين وتنشئ اعضاءهم من صغرهم قوية تناسب الرجولية وتهيئ اجسادهم لخدمة عقولهم وعزائمهم . وقد أدى هذا الاهمال الى ضعف ناشئتنا وخولها وجهود عقولها وعدم ثباتها في اي عمل من الاعمال .

واني وان كنت لا اعلم ما هي الحوائل التي تعوق مدارسنا عن تعليم هذا الفن وقد كان من ضمن شرائع اجدادنا التي يسرون عليها ويقدمونها الا اني اوجه التفات مدارسنا اليه والى على متولي امورها بضرورة ايجاده مشيراً في الوقت نفسه الى قول الاستاذ الفونس اسكيروس الذي يجب ان يتخذ حجة في مثل هذه المسائل ونبراسا لكل امة تريد النهوض والحياة قال :

يجب العناية بفرن التمرين البدني قبل العناية باصر التعليم والتهذيب لانه ينبغي في الاحداث قوة الاعضاء ويجعلهم يزدادون بالتعب شدة وصلابة ويقاومون في حياتهم صعوبة الاقليم والعوارض الكونية بلا تأثير ما في عزائمهم التي تقوم لها بمطالبها عضلات هي الحديد باساً وشدة حتى يساموا من السقوط ويستطيعوا ادراك الرغبات والامال . هذه هي اهم النقائص في مدارسنا ويغلب على ظني ان هناك

نقائص اخرى اشد مفعولا في تأخر الطلبة اتركها لغيري من الباحثين وارجو ان تكون كلها دافعا قويا لعقلاء الامة الى القيام بتشكيل لجنة لدرء هذه النقائص وتنسيق المدارس على شكل يؤدي الى تخريج رجال قادرين على العمل وعلى الجهاد في معترك الحياة ونضالها المستمر بل لتخريج رجال اذارميناهم على اليابسة ملاء واجيوبهم فضة وذهباً اوفي قاع البحار رجعوا وايديهم مملوءة بالآلى والدرر اوفي الصحراء حولوها الى فردوس نعيم اوفي الجبال اعادوا اليها الحياة والنمو. ومتى كان ابناؤنا كذلك فبشروا الامة بالتهوض بل بشروها بان فجر الهداية وضوء الرشـد قد بدا وعصر الاصلاح وزمن الرخاء قد دنا .

الحياة العائلية

٥

الحياة العائلية هي المرأة والمرأة اساس السعادة كما هي ينبوع الشقاء ففي يديها الراحة والتعب النعيم والجحيم فان كانت حكيمة عاقلة وعاقلة متدربة كان كنزاً ثميناً لزوجها ولاولادها ولييتها وللوطن الذي نشأت فيه وتربت بين ظلاله . وان كانت جاهلة فاسدة وفاسدة طائشة كانت جحيماً للعائلة ونقمة للبلاد . فانا لا ارى في العائلة الا صورة المرأة ولا ارى في المرأة الا صورة العائلة وقد قيل ان العالم عشيـرة هي امه . والوطن مدرسة هي مدرسته . والعائلة جنة هي ملاكه وصباحه المنير . على انا لو انصتنا الى العائلة القبطية في مجتمعاتها الخصوصية لسمعنا

صوت الشقاء يصرخ بين افرادها والتعاسة موجودة بينهم بكثرة لا يدركها العقل . موجودة بين الزوج وزوجته وبين الاخ واخته والام واولادها لان المرأة القبطية جاهلة ضعيفة ان تعلمت كانت ناقصة التهذيب وان تهذبت كانت فاقدة التعليم فهي على كلا الحالين سبب هذا الانحطاط المستمر في العائلة وفي المدرسة . في المجتمع وفي البيت

يقولون اننا خطونا خطوة واسعة في تعليم المرأة لان المدارس تفتح في كل يوم لتعليم البنات ولكني اقول اننا ضللنا في فهم تعليمها وظننا محصورا في القراءة والكتابة دون العمل ودون ما يسميه المتمدنون الحياة العملية كما ضللنا في فهم المدنية الصحيحة فظنناها في التبرج والتزين والتأنق حتى اعتقدت امرأتنا انها خلقت لهذه الحياة فحضعت لها وتلاهمت بها عن اتمام واجباتها المنزلية وبسبب هذا الاعتقاد الفاسد أصبحت لا تستطيع في وقتنا الحالي ان تقوم باعبائها .

وفضلا عن هذا الخضوع والتلاهي فقد علمها العلم احتقار الكس والتنظيف والطبخ والخياطة بحجة ان الاشتغال بها مزرر للشرف والعمل فيها منقصة ومعرفة حتى أحاط بنا الخدم والخادومات احاطة السوار بالمعصم وحتى صار في عرف فقيرنا قبل غنينا ان المطبخ من شأن الخادم والاثواب في ذمة الغاسلة والطفل في يد المريية أو الموضع أو عجوز الدار وأما الاثاث فهو رهن العشير والخادم . فهذه السيدة المتمدنة «الموضة» بمعرفة القراءة والكتابة وانواع الطيب وضروب الاقشة

وقبول الزيارة وردّها ليس من شأنها العناية بزواج قد ينهكه تعب النهار
والعناية بمال قد جمعه بشق النفس والاهتمام بمطبخ قد يأكل من ماله او مال
زوجها اضعاف مما تأكل هي وذووها منه ولا الاهتمام بولد يرضع او ولد
يدرس او بيت ينهدم ساعة فساعة او اثاث يتلف أو خادم يسرق أو خادمة
تنهب . ذلك شأن المتعلمة وحسبها من الوصف انها جاهلة ففي طيات
الجهل ما يكفينا عن العد والحصر . فנסاؤنا المتعلمات والجاهلات لسن نساء
بل اناثا وهذا ما حول نعيم العائلة الى حجين بل هذا ما صير غنيانا يئن من
وطأة الفقر ويشكو من الضيق وحيثما كان الفقر فهناك موطن التعاسة .
ولاريب ان كثيرين يرمونني بالمغالاة في ما ذهبت اليه ولكن
يكفي للدلالة على صحة هذا القول ان يحول الانسان بين المنازل فيجد
ما يشاء من قذارة واصراض . يجد المرأة التي تهز العالم بيساره تملأ
قلب زوجها همًا وكآبة . يجد خصام المرأة مع رجلها شغلها اليومي لانه
يثقل كاهلها بالخدمة المنزلية ويسخرها لتربية اولادها بل يجد حديثها
في المنزل والمجتمع والمعبّد قاصرا على المرأة والمشط والشريط والاقشة
والدانتلات والازياء وويل لزوجها اذا لم يجب مطالبتها لتباهي قريباتها
وصديقاتها فامرأة كهذه صناعية أكثر مما هي طبيعية تملأ بيوتنا اليوم
لهي الخطر العظيم على الامة بل القوة المخربة للعائلة وللوطن للحياة
وللبيت للدين وللدنيا

نعم لا انكر انها وديعة مثل الحمل تعادل طهارة قلبها طهارة

وجنتيها ورائحة عطر ثوبها رائحة عطر عفافها ولكنها كما قلنا قليلة الدراية بالامور البيتية ضعيفة الارادة بواجبات الامومة تتصور الحياة ثوبا وحلى كأنها خلقت لتعيش في جنة من الجواهر والحرار ولكن هي الجحيم لها وللعائلة التي يعرفونها الشقاء ويدب بين جوانبها ديب العذاب وان تصور الحياة لها ثوبا وحلى كان سبب اندفاع بعض الشبان الى الزواج بالاجنبيات وتفضيل البعض الآخر العزوية الى آخر الحياة كما يتضح من الجدول الرسمي الآتي :

السن	اعزاب		متاهلون		مترملون	
	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث
٠ — ٤	٥٢٥١٥	٥٦٠٨٩	١٤	١	٠٠	٢
٥ — ٩	٤٩٨٠٩	٤٨٥٠٢	٧٤	٨١	١٤	٠٠
١٠ — ١٤	٤٢٦٦٨	٣٢٧٤٣	٢٠٦	١٥١٠	٦٥	٩٩
١٥ — ١٩	٣٠٧٢٥	١٤٤٧٠	٣١٧٤	١٣٤٠٩	١٣٤	٢٤٥
٢٠ — ٢٩	٢٠٤٧٣	٤٨٥٧	٣٠٩١٤	٥٠٢٨٩	٤٠٧	١٥١٤
٣٠ — ٣٩	٣٥٤٣	١٨٢٤	٤١٧٠٨	٤٠٣٩٧	٥٣٦	٣٨٦٢
٤٠ — ٤٩	١١٧٩	١٢٧٩	٣١٠٥٤	٢٤٥٣٠	٧٣٦	٧٠٩٤
٥٠ فأفوق	١٢٢٦	١٦٠٣	٤١١١٨	١٩٦١٦	٤٠٠٧	٢٥٤٤٢
إجملة	٢٠٢٦٣٦	١٦١٣٧٣	١٤٨٢٦٢	١٤٩٨٣٣	٥٨٩٩	٣٨٣١٩

وهذه الأرقام التي تبرهن لنا على وجود ٦٠ ألف شاب و ٢٠ ألف عذراء بدون زواج يؤيد ما ذهبنا إليه من توقف الشبان عن الزواج ووقوف سوق الفتيات وقوفاً يستدعي الانقراض ويستلزم التلاشي أما اخواننا فيبكرون في الزواج حتى بلغت مئوية المتأهلين منهم ١٢٤ في حين ان مئوية المتزوجين منا ١٠٦ . اما نسبة ارامل المسامين الى عدد اناتهم فتعادل ١٢١ في المائة ونسبة ارامل الاقباط ١٩ في المائة وبين ذلك بون يعزي الى كثرة الطلاق عند المسامين وندرته عند الاقباط . غير ان تلك الندرة في الحقيقة اكثر من المعتاد بل وزادت في العهد الاخير الى درجة لم تكن في الحسبان وغالب أسبابها ترجع الى خيانة الرجل لزوجته فتتأثر هي بالمثل خطواته وتكسر قيود الامانة بالرغم عن طبيعتها وعفافها . وهو قول حق لا يحتاج دليلاً وكل من له الملم باحوال رجالنا اليوم يعلم أنه لو وجدت شريعة تحتم للمرأة ان تطلق بعلمها لعلة الزنا التي تطلق هي بها لكان ٩٠ في المائة من الرجال مطلقين من زوجاتهم . فقبل ان يضبط الرجل امرأته يجب ان يضبط نفسه ليتمكن من الحكم عليها حتى ينتفي الطلاق الذي يؤدي الى كثرة العازبات والى تمكن الفساد من جسم الامة

(١) العزوبة واضرارها

نرجع بعد ذلك الى الكلام عن العزوبة واضرارها فنقول ان بقاء مثل هذا الجيش الجرار من الاقباط بلا زواج من أكبر الاخطار

على حياتهم الذاتية والجنسية والادبية والاقتصادية . فاما الاخطار الذاتية فاهمها تشويه الصحة وقصر الحياة من تعريض الالوف التي تسير سرباً منقطعاً عن البشرية الى الامراض والعلل التي تنتابها من ضرورة الرضوخ للنواميس الطبيعية وانتباب الاسواق العمومية . وقد قال الاستاذ كاسبر البلجيكي أنه اذا فرض زمن موقوت وعملت نسبة الاموات ما بين العزاب والمتزوجين نرى انه كلما مات ٣١ في المائة من العازبين مات ثلاثة من المتزوجين فقط وقال الاستاذ جرونباخ الالماني ان عدد الذين يموتون من العزاب بين سن الثلاثين والاربعين يزيد نحو ٢٠ في المائة من الذين يموتون من المتزوجين في هذا السن لان المتزوج أكثر انتظاماً في معيشته الداخلية عن العازب واحسن تغذية واقدر على استعمال الوسائل الصحية وابعد عن الاسراف في الشهوات وكلها أمور تعد من الاسباب الداعية لتطويل الأعمار .

اما الاضرار الجنسية فمدارها تقليل النوع لعدم التناسل اذ تقرر أن الجنس البشري اذا لبث بدون زواج لا يدوم زماناً طويلاً حتى يفنى وينقرض . وتأيد هذا القول اشار الرحالة ستالي الأنكليزي الى أن الازدياد الزهيد في بعض الامم لا بد وان تنعكس ايته ويحل محله التناقص العظيم على التعاقب حتى يؤول بها الى الانقراض . وقد تأكدت لي هذه النظرية بالبيان فان سكان جزر الفيجي بالاوقيانوسية كانوا ٢٠٠ الف ثم ازدادوا بعد عشر سنوات نحو ٣٠ الفا وبعدها عادوا الى التناقص شيئاً

فشيئاً حتى انقروضوا ولم يبق منهم الا عدد قليل لا يذكر . وقد بحث كثيراً عن اسباب نقص المواليد وقصر اعمارهم فأتضح لي انه من انعكاسهم على الشهوات وانصرافهم عن الزواج

اما الاضرار الادبية والاقتصادية التي تعترى العازب فهي الاتقياد للشهوات والاسترسال في ارتكاب المعاصي والابتعاد عن كل حاسة ادبية وحب الذات واذتفاق بكثرة لفرديته . واذا اطلقنا لفظة الفردية على العازب فلانه قلما يفكر بغيره لان ليس له ما يجذب قلبه . وليس له اولاد ولا امرأة بل ليس له ما يلاقى راحته ولا ما يدفعه لان يقدر حساباً لغده . وقد راجعت معظم ما كتب في تأثير الامراض الادبية والاقتصادية على العازب فوجدت الجميع متفقين على انها اعظم خطر يهدد حياته وحياة امته بوقوف تقدم العلوم والصنائع

وبناء على كل هذه الاضرار والاعطال نقول ان هذا الجيش العظيم من الشبان لو تزوج وتناسل ل زاد عدد الوافدين منا عن الراحلين زيادة عظيمة توجد بها قوة حيوية في البلاد لا يستهان بها وتمكننا من تقوية مواهبنا العقلية وانمائها نمواً لا يضاريننا به احد .

ثم واذا اقترضنا ان كل واحد من الستين الف شاب ينفق سنوياً على مالهيه ٢٤ جنيهاً باعتبار جنيهين في كل شهر وهو اقل تقدير طبعاً لكان مجموع ما ينفقونه سنوياً ١٨٤٠٠٠٠٠ جنيه وهو مبلغ عظيم جداً لو انه انفق على العلوم والصنائع والفنون واصلاح احوال الأمة لكان

الاقباط اليوم من ارقى امم الارض واغناها كما كانوا قديما . بل لو فرضنا وجود جمعية بيننا تجمع من كل عازب عشرة غروش سنويا وانفقت مجموعها على زواج الفقراء والفقيرات لتكونت من ذلك هيئة اجتماعية راقية تساعد على بقاء النوع ونموه

وقد لا يؤخذ من قولي هذا ان الفقر هو الحائل الوحيد دون الزواج لان شعباً يكون عدد المتزوجين فيه من الفقراء نحو ٧٠ في المائة من مجموع المتأهلين لا يجوز لاحد أن يذهب في توقف شبانه عن الزواج الى الفقر . بيد أن الحائل الوحيد هو كما قلنا اهمال تربية البنات ونزید عليه اهمال تعليم الدين للبنين فلو تربت الاولى وعرفت معنى الحياة وتعلم الباؤون دينهم تعليماً صحيحاً لانتفت العزوبية وسمت الافكار الى الزواج عملاً بقول الله تعالى: ليس جيداً أن يكون آدم وحده بل نجعل له معينا نظيراً (تك ٢ : ١٨) وقوله أيضاً : لذلك يترك الرجل ابيه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً (تك ٢ : ٢٤) . وهذا القول وحده هو سر عمومية الارتقاء الحيوي في الامم الغربية . فلننشده كما انشدوه ولنتبعه كما اتبعوه لتصل اليها اشعة الاشرار . وليحل النور محل الظلام وتقع الزيادة مواقع النقصان

(٢) عيوب زواجنا .

اذا كان الزواج هو الرابطة الادبية للانسان وخبر الحياة الذي لا يستطيع أن يعيش بدونه بل الجامعة المتينه بين الرجل والمرأة

الذين هما اساس البيت وعليهما تبني الهيئة الاجتماعية قواعدها البشرية فقد اصبحت تلك الرابطة بيننا ادنى رتبة من رتبة الاتحاد الذي يربط الحيوان لحفظ النوع لان الحيوان يتبع البداهة وهي شريعته اما القبطي فشريعته غير هذه ومع ذلك فهو يقتبس بداهة الحيوان ولا يكتفي باخذها على ما هي بل أخذ يدفعها الى ابعد انحطاط باتخاذ الزواج سبيلا للحصول على شرف أو رغبة في مال أو ميراث حتى قلما تجد رجلا أو شابا يعتبر اتصاله بزوجته اتصالا روحيا وقلبيا تتناكر فيه الذات تناكرا يجعله واياها انسانا كاملا وجسدا واحدا بل يعتبره شرطا يخوله حق امتلاك احدى الفتيات التي لا تعلم من أمره شيئا وهو لا يهتم من شأنها غير الزينة التي انصرفت اليها واحبت كل ادوات التاجر التي تأكل عواطفها وشعورها ومال زوجها المسكين الذي استعبدها فاشقته وابكاها فاهلكته ومنه الداء وعندها الدواء وهو العلة وهي الشفاء

ولا خلاف أن عدم فهم الغرض الحقيقي من الزواج اولا وجهل المرأة ثانيا هما أصل هذا الشقاء بل سبب المشاحنات والنفور وشقاء العائلات وانحطاط اخلاق واداب الاطفال الذين تنتقل اليهم عيوب والديهم بسهولة وتنمو في افئدتهم الرطوبة ونفوسهم اللينة . وكثيرا ما نرى الرجل يهضم حقوق زوجته ويدوس على عواطفها وشعورها ويعاملها معاملة الامة لا الزوجه والام ويدفعها الى الرضاء في كل حالة فتندفع

مسيرة لا مخيرة بل كثيراً ما نراه سكيراً أو مقاصراً أو متهتكاً يجلب عليها كل شقاء وبؤس ومذلة فترضخ مستكينة على الضيم دون بحث في أمر سعادتها ولا في أمر سعادته . فهذه المرأة على وداعتها ورضوخها لم توفق الى السعادة ولماذا ؛ لانه تنقصها التربية العالية . ينقصها عرفان واجبات الحياة . ينقصها الاهتمام بكل ما يس مصلحة بنيتها واولادها ومستقبلها . ينقصها التفكير والاناة . ينقصها العقل والحكمة لتتمكن من تقويم اخلاق زوجها ومن تحويل وادى الهموم والاحزان الذي تهيم في جوانبه الى مقر راحة وسلام .

قال الفيلسوف بترارك أن امرأتي التي أتناظي بوطيس غرامها جعلتني أحب الهي . واني قد أحببت عقلها لاجسدها وبرهاني على ذلك ازدياد حي لها كلما تقدمت في السن فان جمالها قد ابتداء بالذبول في قليل من الزمن ولكن عقلها كان يزداد ازدياداً أشغفني حتى كلفت بها فلو كنت لأحب فيها سوى جسدها لكان حي لها قد قتر من زمان بعيد فلتشهد علي الالهة اني لم أشعر لغيرها بهذا الاحساس وأود لو يري الناس حي لها كما يرون وجهها لان حي كوجهها نقي خال من تشويه والفضل لها في كل ما أنا عليه من الشهرة لاني لولا افكارها الحسنة والاحساسات التي زرعتها في قلبي لما ثبت فيه بذار الفضيلة الذي زرعته في وهي التي نسلتني من الوهدة التي كان جهل الشبيبة قد هورني فيها وأظهرت لي طريق السماء وقادتني للوصول اليه وبالحقيقة

أن على المرأة تقويم الرجل

وسئلت امرأة الامبراطور أوغسطينوس بماذا أهكنها أن تستولى دائماً على قلب هذا الملك الجبار قلت بأنني كنت أفهم مرغوبه من اشارته وخضعت له وحفظت أواهه كلها ولم اتعرض قط في حياتي للسؤال عن أفعاله ولم أكله عند جهله كأني لا أعرف شيئاً ثم انصحه في أوقات سكونه وهموده باللطف واللين .

وكل هذه الأدلة وغيرها مما تملأ صفحات التاريخ تثبت لنا أن المرأة مطالبة باصلاح زوجها فاذا كان الرجل رأس المرأة فالمرأة أعظم من الرأس لانها روحه التي توحى اليه بالمكارم أو الانحطاط . فاذا رأيت رجلاً فاسداً فاحكم بصف روح زوجته ووهن في عواطفها واذا وجدت رجلاً راقياً فاحكم برقى زوجته . وبناء على هذا القياس المحسوس تكون زوجاتنا في أسفل درجات الانحطاط .

على أن هناك أسباباً أخرى جعلت حياتنا العائلية أشد تعاسة وأكثر ظلمة ذلك لان أغلب الزيجات أصبحت منضمة بقوة الجمال مقدسة بشريعة المال . فالغني يطلب فتاة جميلة والفقير يطلب فتاة غنية أو يطلب الاثنين معاً المال والجمال . فاذا اتفق ونال أمنية لاتدوم سعادته الامدة معلومة ثم يحل محلها الشقاق والخصام وكلاهما رأس خراب البيت وزوال المناء العائلي . لان الجمال الذي هو أساس الحب أمر عرضي زائل لا يلبث أن يضمحل ويعقبه الكره والنفور كذلك المال الذي هو

أساس التفضيل يجعل الرجل مستعبداً لزوجته فاما الرضوخ وأما الفراق وهما امران احلاهما مر. لهذا اذا قال السيد المسيح لتلاميذه لا يمكن أن تعبدوا ريين الله والمال فانا أقول لكم لا يمكن أن تجدوا سعادتين المرأة والمال.

ثم أن الطريقة التي اتبعت الآن من اختيار الزوجين بعضهما البعض قبل الزواج لم يمنع البتة حصول الشقاق في العائلة لان هذا الاختيار مبني في الغالب على الجمال الخارجي لا على الآداب والفضيلة فالعذارى يفرهن تألق الشبان وزخرفتهم ولا يهتمن من أصرهم اذا كانوا سكيرين أو مقامرين أو مهتكين حتي لتجدن امهاتهن وقربياتهن يتفرسن في وجوههم عند دخولهم وخروجهم ليحكمن على صورتهم بالقبول او الرفض كذلك الشبان لا ينظرون الى آداب العذارى وفضيلتهن وجمال عقولهن بل كل الذي يروقه هو جمال القد واعتدال القامة وحسن الملبس وكثرة الحلى والجواهر. وكل هذا ينافي الغرض المقصود من الزواج ومن السعادة البيتية التي نراها تنهار يوماً بعد يوم ويحل محلها النزاع والخصام بين الزوجين ويبقى ابدى بقاء رباط الزواج الذي لا ينفك طول الحياة وعلى ذلك أقول يجب زيادة التدقيق والتأمل في معرفة أخلاق الزوجين قبل اقترانهما معرفة حقيقية وذلك لا يتأتى الا من اجتماعهما ليختبر كل من الفتاة والفتى الآخر ويعرفا طباع بعضهما حتى اذا رأى أحدهما في رفيقه ما لا يضمن له الراحة في مستقبل العمر رجع عن عزمه

فضلا عن ان هذا الاختبار لازم جداً لتوطيد عاطفة المحبة المستديمة في نفسي الخطيبين لانها أساس الزواج والجامعة التي تتألف عليها السعادة العائلية .

ولرب معترض يقول وما الحاجة الى الاجتماع والتعارف اذ كل من عائلة الخطيبين تبحث وتنقب عن خصال وأحوال الاخرى لاتصال أخلاق الاباء والامهات الى البنين والبنات فجوابا على ذلك نقول أن جل العارفين باخلاق وخصال العائلتين هم من اللائذين بافرادهما وهؤلاء كثيرا ما يحولون السواد الى بياض والفساد الى طهر والفقر الى غنى والجهل الى علم على اعتقاد منهم أنهم يحسنون عملاوهم في الحقيقة يجرّون الفتى والفتاة الى الهاوية ويجعلون زواجهما شراً مستطيرواوعذابا يفتيان في ناره . واذا تحقق ذلك كانت مسألة البحث عقيمة ومضرة معا خصوصا اذا أضفنا اليها تأثير الخاطبات اللاتي تغوين العائلات بالمال لتزويج بناتها حتى لا يكن حملا ثقيل على عاتقها .

هذه هي أهم الاسباب التي أوجدت الشقاء في العائلة القبطية ودفعت غالب المتزوجين الى أحياء الليالي في الحانات والقهاوي والمجتمعات الفاسدة فرارا من بيوتهم كأنها صراع مزعج يدفعهم الى الهرب فينفق الواحد منهم ايراده على أهوائه واغراضه غير مكترث بما تفرضه عليه الجامعة الزوجية حتى لو سألت ٦٠ في المائة من العائلات عن أحوالها لوجدتها في ضيق وعوز في حين ان أربابها في سعة تكفيها مؤونة الشقاء .

أنالا أقول الرجل ملاما بل الوم المرأة لانها لو اعدت بيتها لاستقبال
ضنكه وتعبه وتحويله الى راحة وسلام لما حاول الفرار من بين يديها.
ولما ثقل كاهله بالديون ولما تركها تبكي من نار استعباده لها بل لما ترك أولاده
يلتحفون العذاب لا يراهم ولا يرونه الا في الاسبوع او الشهر مرة
صدفة واتفاقا .

واذا فرضنا ان الرجل كان بالغاً نهاية التقهقر فالشر عارض لا كيان
له بذاته فلو فشت المرأة عن اسباب شره واطهرت له النصيح بلا
تعنيف وتأسفت معه على سقوطه لتمت الواجب الذي تنتظره منها
الانسانية وتناديها به الوطنية وقد حصرت بها نصف امالها .

قال فيكتور هوغو شيخ فلاسفة الفرنسيين ان الشر طارئ
حوال فليس سكير الا ويتحرق بعد سكره . ولا مهتك الا ويسطو
عليه الخمود ولا مقامر الا ويتأثر على ما خسرت يمينه ولا متكبر الا
ويتقزز من كبريائه ولا مجرم الا ويوخزه ضميره فلوانتظرت حين
يسطو عليه الهمود ونصحتة لا يصبح انسانا كاملا والواقع يؤيد هذا القول
تأييدا واضحا فكم من شرير صار رجلا فاضلا وكم من بربري جلف دب
في نفسه عواطف الشرف والانسانية . ولذلك اعود فاكرر القول من ان
كل اعوجاج من هذا القبيل في الاخلاق والنفوس لا تقومه الا المرأة
بنفسها فاوجدوا لنا امرأة فاضلة نوجد لكم رجالا اقوياء كبار النفوس
ذكياء العقول .

(٣) كثرة اليتامي وضعف النسل .

هذه مسألة تحتاج الى بحث أكثر من المسائل السابقة لانها اعظم خطراً من العزوبية نفسها حيث تعرض الالوف من الاطفال الى الامراض والى التيم وتعرض حياة السيدات الى الموت . على ان جل ماوقفت عليه بعد البحث الطويل لمعرفة اسباب كثرة اليتامي بيننا وضعف النوع من الوجهة الصحية ينحصر في ستة اسباب وهي اولاً - الزواج المتأخر او المسن - ثانياً - الزواج العاجل او الباكر - ثالثاً - الرضاعة الحيوانية - رابعاً - وسائل منع الحمل - خامساً - عدم النظافة والترتيب - سادساً - المسكرات وكل هذه العلل التي اجتمعت في جسم الامة سببت ضعفها الحالى وضعف عزيمتها ووهن عواطفها .

الزواج المتأخر

اذا شبهت هذا النوع من الزواج بالمعول الذي يهدم كيان الامة ويكثر التيم ويضعف التناسل فاني لا اكون مبالغاً خصوصاً اذا اضفت اليه قول المستر لويس مدير الاحصاء في سنة ١٩٠٧ من ان مئوية اليتامي بين الاقباط اكثر منها بين المسلمين . وبديهي ان الرجل الذي يتزوج في سن الاربعين او الخمسين يكون اشبه بالحية التي بعد ان تمر على الاقدار تجيء لتنام بجانب شجرة لتسمها وتذبلها فلا تعود تثمر وان اثمرت فثمراً ضعيفاً رديئاً تمر به العواصف فتنيخه الى الحضيض وتكفنه في جوف الارض وهكذا هو فلا يلد الا اولاداً ضعيفي البنية عصبي المزاج مصابين

بأمراض مختلفة لا يمرون طويلاً وان عمروا كانوا يتامي لأم لهم ولا أب ومما يزيد هذه المسألة وضوحاً ما لاحظته الأستاذ بوشار الفرنسوي من أن ٣٠ في المائة من أولئك الأزواج يموتون عقب اقترانهم بسنتين أو أربع و ٢٠ بعد خمس سنوات و ٥٠ بعد عشر على الأكثر وهم الذين قد تمكنوا من مقاومة الطبيعة ولم يرضخوا لنواميسها القاهرة في شبوبيتهم أما مثوية الموتى من أولادهم فأقل من ذلك بكثير

على أن المهم في هذه المسألة هو تيمم الأولاد الذي يعرضهم في الغالب إلى الشقاء وإلى الفقر المدقع بل وإلى احتمال الضيم ونير العذاب من الأوصياء أو متولي أمورهم الذين كثيراً ما يتلاعبون بأموال أولئك القصر ويفتالونها وكثيراً ما يغضون الطرف عن تربيتهم وتعليمهم وعن المساواة بينهم وبين أولادهم ولو مساواة ظاهرية. هذا فضلاً عن الاعتبارات الأخرى التي تشغل كواهل أولئك الصغار من نساء الأوصياء والمتولين اللاتي يستعملن كل غلظة وقسوة في معاملتهم وأنه ليشق على أن اتصور أو اصور حال اليتامي فتركه لذوى الشعور الرقيق بل تركه للاباء للذين لا يتقون الله في ابنائهم-

غير أن تلك المتاعب والويلات الشداد التي يلاقها اليتامي من هذا الصنف أخف وطأة مما يلاقها اخوانهم الذين قضى عليهم سوء الطالع بعدم وجود عائل لهم يقوم بتأدية حاجياتهم الضرورية للحياة. ومن منا لا يعرف الضنك الذي يلقاه اليتامي. من منا لم يروعه منظر أطفال صغار

يجوبون مع امهاتهم الطرقات والمنازل طلبا للكفاف بعد ان كانوا في سعة . من منا لم يسمع بان الفقر دفع يتيما الى الاجرام وساقه الى الجريمة بل من منا لم ير أطفالا كانوا متوقدين ذكاء فحولهم اليتيم الى جمود وعقم فشبوا جهلة فاسدين تنحط بوجودهم الامة التي تلغهم فيلعنونها لانها هي الجانية عليهم .

ان الملاجيء الخيرية لو فتحت والاحسانات لو توالى لتحسين حال اليتامي لا تكفي لتجفيف دموعهم واتحاد شجونهم بل تذكرهم بالشقاء الذي هم فيه يهيمون فتصغر نفوسهم وتضعف مواهبهم ولكن الذي يرفع هذه التعاسة هو العدول عن الزواج المتأخر هو تمنع الاباء عن تزويج بناتهم بالمسننين ليخففوا الويل عن اليتامي والمذلة عن الارامل اللاتي يعتبرهن الناس فاسقات دنسات مهما كن عفيفات طاهرات حتى لتجدن ارفعهم كالا وأدبا يحسب سلامها جنحة وابتسامها جريمة ولوعدل وعدل الناس لا تزلوا النعمة على والدها الذي اتعسها ولا تحذوا على هدم اركان ذلك الزواج الفاسد برباً بامتهم .

الزواج الباكر

ككل فاكهة في غير أوانها مر المذاق سيء العواقب . ونتأمله انضواء الجسم وقصر الحياة لعدم نمو الزوجين . وقد قال العلامة طود الشهير ان غالب وفيات الاطفال والشابات في مصر يرجع الى هذا النوع من الزواج الذي يخلق اولاداً ضعيفي البنية ويجعل المرأة عرضة للأمراض

الرحمة والعصبية فتسرع اليها الشيخوخة ويدهمها الموت قبل الاجل .
هذا فضلا عن الاضرار الادبية من اختلاف الزوجين المستمر لعدم
ادراكهما واجبات الزوجية . واذا أضفنا الى ذلك تيمم الاطفال من
أمهاتهم وسوء المعاملة التي يلقونها من زوجات آبائهم رأينا ما يحزن
ويفتت المرائر بل لو حالنا اخلاق اليتامى من هذا الصنف لوجدنا ما
يضعف الامل بزوال الصفات المنحطة من جسم الامة كالجن والكذب
والنفاق والخداع وما شاكلها مما يستعملها المستعبد للتخلص من
عذاب المسترق

واذا كان من المدهش ان الزواج الباكر قد زاد بيننا زيادة
عظيمة كما يوضحه الجدول الذي نشرناه في هذا الباب مع ان قانون
الكنيسة يمنعه منعاً باتافن اغرب المدهشات ان يصبح سجية من سجيا
المانعين فقد اذكر عدة حوادث وقعت من هذا القبيل في مديريات
الفيوم والمنيا واسيوط وكان للكهنة يد فيها حتى انهم عقدوا مرة زواج
فتاة لم تبلغ العاشرة من عمرها لقريب لها دون ا كتراث بالقانون ولا
بالشريعة ولا بالمنشورات التي يصدرها البطريرك من وقت الى آخر .
الا انه يسرنى مع ذلك ان اقول ان الاهالى قد ادركوا أخيراً فساد هذا
الزواج وعزموا على السير بحسب النظام الكنائسى والاجتماعى الذي
يطيل الحياة ويزيد الرفاهية في العائلة .

الرضاعة الحيوانية

وإسمها الكشيرون الرضاعة الصناعية أي ترضيع الاطفال بواسطة زجاجات اللبن المرووفة بالمصاصة وهي منتشرة بيننا انتشاراً مريعاً مع انها السبب الاولي في التضاء على حياة الاطفال كما اثبتته الاحصائيات السنوية التي ينشرها الاطباء وملأت الصحف والمجلات ووقف عليها الخاص والعام . واذا كان خطرهما من الوجهة الطبية اصبح معروفاً الى هذا الحد لكثرة ما تناولته اقلام الباحثين فاني أقصر بحثي الآن من الوجهة الاجتماعية لايين اضرارها الجسيمة في الحياة العائلية .

يقول الاطباء ان المصاصة هي الآلة الوحيدة لحصد ارواح الاطفال وانا اقول لكم ان من مستلزماتها توالي الاحزان على العائلة واهمال الام واجبات الامومه وتعودها فيما بعد على اهمال تربية اولادها اذ انجوا من خطر الموت وتشقى الرجل بالنفقات الطائلة التي تستدعيها المصاصة ويستدعيها المرض فالموت وامامكم المرأة التي تعتمد الى هذه الرضاعة فهل رايتوها الا خاملة ضعيفه وهل رايتهم اولادها الا مضطربى العقول ضئال الاجسام ممتقعي الالوان خائري العزائم كأنهم اشباح لا تلبث ان يتخطفها الموت ويقضي على هناء العائلة وعلى رقي الامة التي اصبحت من جراءها في انحطاط مستمر ان لم يكن من رداءة النسل وضعف الذرية فمن كثرة الوفيات وقلة العدد . على اننا لو حللنا استعمال المصاصة عند الضرورة حيث تكون الام في غاية العجز عن ارضاع ولدها فما الذي يحمله لغيرها من القويات

التقادات على الرضاعة بل ما الذي يحلل للغنيات ان يكن ارضاع ولدانهن الى المرضعات اللاتي كثيرا ما يكن جافيات الطباع قذرات الابدان يعرضن الرضيع الى الامراض المعضلة الفتاكة ! لا يحلل لهن غير التمدن الكاذب الذي دفعهن الى الاستنكاف من الرضاعة واعتبارها من المزيريات بشرف النساء . وهو تحليل غريب يجب ان يشهر به ويسخر بصاحبه حتى تعتاد على ارضاع ولدها بنفسها لان امتناعها يعد اكبر اثم ترتكبه كما قال جان جاك روسو حيث تسلم ولدها الى الموت وتقود عائلتها الى الخراب ووطنها الى الدمار والخسران

بل ومما يبرهن على أهمية الرضاعة من الام نفسها ان الوالدات اليابانيات يرضعن اولادهن حتى السنة الثانية والوالدات الانكليزيات كما قال الاستاذ الفونس اسكيروس يرضعن اولادهن بانفسهن ولهذا فالمرضع عندهن لا يراد بها الا المرأة التي تقوم على الولد تربيته ومما قاله أيضاً انهن لا يلتجئن الى المرضعات أو المصاصة لارضاع اولادهن الا عند الضرورة الشديدة أي في حالة ما تكون الام في نهاية العجز والمرض .

ولا بد انكم جميعاً تذكرون ان الاقدمين اوجبوا الرضاعة على الام وجعلوها في جملة الشرائع فلماذا لا توجبونها انتم كذلك حتى تخففوا عن انفسكم الاحزان وحتى تصونوا تلك الارواح الطاهرة من الامراض والموت وحتى تعلموا المرأة واجبات الامومة التي تتجلى في

كل امرأة غريبة سواء كانت غنية أو فقيرة أميرة أو ملكة لأنها من علامات الرشد والرقى وان من عظماء الملكات اللاتي قدسن الامومة الملكة بلانش أم الملك لويس التاسع فقد اصببت بانحراف يومامالجاءات احدى وصيفات القصر وارضعت الملك الصغير فلما أن علمت بذلك أسرعت اليه ووضعت أصبعها في فيه حتى تقيأ ما رضعه ثم التفتت الى من حولها وقالت لهن : لا أطيق أبداً ان امرأة تختلس مني حق الامومة هكذا يجب ان تكون المرأة لا تعرف الا الامومة ولا تتغني الا بها ولا تعمل الا اليها . فلتقتدي امرأتنا بها وتحذو حذوها لتدفع الموت عن أولادها وتضع نصب عينها هذه الكلمة (لتفن صفة الزوجية في صفة الامومة)

وسائل منع الحمل

عادة قبيحة وبيلة سرت في كثير من عائلاتنا سريان النار في الهشيم فاتبعتها على اعتقاد منها انها خير وسيلة للنجاة من كثرة النفقة التي يستلزمها النسل الكثير وما كانت في الحقيقة الاجرمة كبرى تركبها تارة بواسطة الوسائل العامة التي تشير بها العجائز واصبحت من ضمن أدوات المنزل وجهاز العروس وتارة بواسطة الاطباء الذين يسهلون استعمالها بواسطة العقاقير المهلكة التي تنسج بين المرأة وبين الصحة أمراضاً أشد من أن يقو عليها ما بقي من العقاقير الطبية . وقد كنت أظن ان هذه العادة غير موجودة بيننا بالمرّة لاعتقادي انها خصيت

بالنساء العموميات حتى لا يحتمل الانسانية شروراً فوق شرورها ولكن
جاءني صديق وعرض علي الذهاب معه الى احد الاطباء لكي يعطيه
دواء لامرأته يمنعها عن الحبل لانه اقتنع واياها بما رزقهما الله من
الاولاد فاستشرت في ذلك حضرة الدكتور راشد يوسف فاعلمني انها
مضرة ومخطرة ومن نتائجها التهاب الرحم والمبيضين ووصول الالتهاب
الى البريطون الذي يؤدي بالحياة

ومما يدعو الى الاسف ان هذا الصديق ليس أول رجل انتقاد
الى هذه المادة بل ان كثيرين من أمثاله يتورطون فيها ويحلبون على نسائهم
كل أشكال الضرر وانواع العذاب . واني لا ذكر ان سيدة ذهبت
الى المرحوم الدكتور فرنهوست باشا في الاسكندرية تطلب منه دواء
يمنعها عن الحبل فكان جوابه لها : « خير دواء لك ان تبتعدي عن
الاجتماع بزوجك لان كل العقاقير الطبية لا تمنع الحبل وانما تمنع عنك
الصحة والعافية » واذكر أيضاً أن موظفنا كبيراً ذهب الى الدكتور
فوكيه يطلب منه مثل هذا الطلب لامرأته فطرده من عيادته قائلاً له
« اذا كنت تشفق على امرأتك لمرضها فامتنع عنها » والامثلة على
ذلك كثيرة يمكن أن يستجليها القاري من الاطباء الذين يتقون الله في
الارواح . على أنه لو كان ضرر هذه العادة الويلة قاصراً على ما ذكرنا
لكان خير سبيل للاقلاع عنها لكنه ويتعدى الى الحياة الاجتماعية فيجرد
المرأة من صفات الامومة لانصرافها الى العلاج ويسوق الرجل الى

مهاوي الفقر في سبيل التبذيرات التي تستدعيها المعالجة وكلا الأمرين موجب لعدم العناية بأمر الأطفال واتخاذ الحيلة اللازمة في تربيتهم فوق ما يصيبهم من المفاسد والردائل والتيتيم ان لم يسبقوا والدتهم الى عالم الاموات .

ولست أقول هذا القول القول الا وأنا على حقيقة مما أقول واكبر ظني ان تطرق تلك العادة الى الاقباط انما من مجاراتهم الاجانب في كل شيء مجارة عمياء ومع ذلك فالاجانب قد ادركو اضرارها واستعاضوا عنها عند ميسر الحاجة بالامتناع عن زواجهم حتى لا يكون نسلهم ضعيفاً رديئاً . زد على ذلك أن غريزة الامومة في الاجنبيات لتربيتهم العالية على أشد ما يمكن ان تكون حتى ان الواحدة منهم ان توقفت عن الحمل زمنا ما تصرف كل عنايتها الى عمل اللعب وغيرها وتحنو عليها حنوها على اطفال حقيقيين حتى لا تنسى واجباتها الشرعية . وكل ذلك يوضح لنا ضرر تلك العادة ونتائجها الوخيمة ويحمل عائلاتها على نبذها لانتشال نساءهم من وهدة الموت وأولادهم من هاوية التيتيم

عدم النظافة والترتيب

اني للأسف أشد الاسف أن أقول ان مبلغ النظافة عندنا ضعيف ضعفاً معيباً حتى لا يجب ان نغلو في التعجب اذا رأينا أمتنا تكتسب بين الامم شهرة صحية سيئة وليس على القارىء الا أن يتصور منزله

لنتجلى له الفوضى في منظرها القبيح والقذارة في أبشع صورها ان لم يتعاص
على فكره ان يفرق بين المطبخ وغرفة الاستقبال وبين القصر والكوخ
على انه بغض النظر عن بعض المستثنيات نجد أن منازل السواد
الاعظم من الطبقة الوسطى كهوف أعدت للحياة فالأقذار تملأ
جوانبها والعناكب تمتد بين سقفها والعشير يغطي أثاثها والصداء
يعلو أوانيها والحشرات تسكن فراشها وتلد فيه وتتناسل حتى تضطر
لكثرة التوليد الى افتتاح ثقب لها في الحيطان . والطيور تحلق وتجدف
في غرفها . والرضيع ملقى على وثير تعاف النفس المرور بجانبه والادوات
مبددة هنا وهناك بلا نظام ولا ترتيب والطفل يغوط في وسط الغرف
والرجل يبصق ويمخط على البسط والحيطان والمرأة واولادها في أطمار
رثة بالية لا يستحمون في الاسبوع مرة والمطبخ مستنقع تتصاعد منه
الزوائح الكريهة وتنهال فيه الاساخ وبالأجمال فان مساكن تلك الطبقة
مع بذاختها وشمين أثاثها ورياشها قدرة منحطة تنتشر منها الحميات
الحيثية والأمراض الويئة التي لا تتولد جراثيمها تولدًا محليًا بل هي
حيويونات مكرو سكوييه تستضيف منازل وأجساد البخلاء على
اجسادهم ومنازلهم بالتنظيف والاعتناء كما قال اللورد شستر فيلد

وأعس من هذه المنازل مساكن الطبقة الأخيرة فهي أشبه بالسجون
المظلمة حيث ترى العشرة في محل واحد ينامون على الأرض يغطيهم
لحاف واحد وهل بقي الواحد الكثيرين ويأكلون خبزاً أسوداً

ويشربون من كوز واحد ولا يستحمون في العام مرة . ولو استطعنا ان ننظر ما وراء هذه المساكن لرأينا شقاء ودموعاً والاماً ومفاسداً وشروراً كثيرة بل لرأينا سكانها وهم يخرجون منها كمن يخرج من وراء غمامة سوداء شنيعة المنظر عديمي الحركة صفر اللون اشبه بالاموات منهم الى الاحياء . ولست أقصد بآبناء هذه الطبقة فريق الفقراء بل أقصد بهم العمال والصناع والكتبة الاصاغر مع ان منازل أمثالهم من الاجانب في غاية النظام والنظافة وشاملة لكل معدات الحياة المنزلية الضرورية الملائمة لحالتها .

واذا كانت هذه الكرامة التي وصفت بها منازلنا وسوء حالتنا الداخلية هي كلمة جارحة فهي حقيقة واقعة لا يمكن نقضها نعم حقيقة يجب أن يقولها كل محب لأمته ويعلمها كل غيور على صالحها لان وجودها في وسط قدر كهذا انما هو سبب امراضها الاجتماعية والعمرانية التي لا تحصى ولا تعد . انما هو منشأ جمودها وتراخيها وفشلها في كل عمل لان القوة التي ندعوها نشاطاً ما هي الا نتيجة انبعاث القوى الحيوية في الجسم النظيف بدليل ان الامرجة تقوى وتنبسط لرؤية النظافة والترتيب وتتصدع وتنقبض من القذورات والفوضى وسوء المعيشة حتى لتؤثر في بقية الحواس وأول مظامة تجريها محور اية الذكاء من العقول ويليهامضععة العزيمة من النفوس والثبات من الصدور . ويمكنكم اذا شئتم ان تستجلوا هذه الامراض المهلكة بأنفسكم لتتضح لكم الاسباب

كما اتضحت لكم النتائج

قال اللورد افبيري أن الاقدار في بيوتنا وابداننا تؤول الى سوء المعيشة وتكون من جملة المورثات على الصحة بل على حيوية الجسم عموماً كما وأن النظافة تؤدي الى الابتهاج وسلامة الضمير وخلق الفكر فتزيد الجسم صحة والعمر طويلاً والحياة سعادة . وقد لا يقتصر التنظيف على أن يكون سطحياً إنما يجب ان يكون من الداخل وشاملاً الاجسام والمساكن والملابس والمشروب والمأكول . ومن الجلي انه بقدر انتظام معيشة الانسان وتفرغه لشؤونه يكون أقرب الى النجاح وأرجى للوصول الى الكمال من المرتبك في معيشته الذي نراه على الغالب رجلاً ناقصاً لا يبلغ في الكمال الدرجة المطلوبة بل ويخسر أيضاً الحياة الاخرى لان الاعتقاد بأمور الصحة واجب مقدس ومن نظر منكم في طقوس دينه وجد أن كثيراً من الفروض المرسومة تحت عنوان الواجبات الدينية ليس الا صحياً محضاً . والمثل القديم يقول النظافة من الايمان . وبوفون الفيلسوف الفرنسي يقول انها أقوى من المال وأعظم من المجد وأجل من الزهور واطرب من النساء تبسم في الشقاء وتشفي من الاوبئة وتقوي عند الضعف وتحيي من المات . واميل زولا الكاتب الاجتماعي يقول أيضاً يحزنني أن أرى بيتاً تعشعش فيه الاوساخ ولا تجول فيه مسحة من النظافة التي تضرم الذكاء في العقول وتنش الافكار وتقوي الاجساد على العمل والجهاد بل الاستاذ سلفانوس

استاول يقول لا يقتصر ضرر القذورات والافساخ على انتشار
الحميات والامراض بل يحدث احتكاكا وتهيجا في آلة التناسل فينبه
الشهوات في الرجال والصبية وتضطر الاخيرين الى استعمال أيديهم
فتتلبك أجوافهم وتتعطل وظائفهم وتحدث فيهم ازعاجا وثقلا .
ومما من يجهل اضرار هذه العادة التي لا تؤثر فقط على الصبي بل اذا
مد الله في أجله وتزوج ورزق أولاداً انتقل التأثير السيء اليهم .
فيا أيها القوم اذا كنتم تنادون بتهديب العقول وانماء المواهب
وتشغيل الادمغة وأحراز المعارف والصنائع والنجاح في كل عمل
مع تمية احترام النظافة والنظام في نفوس الاطفال فعليكم بتنظيف
ابدانكم المهمة لان العقول السليمة لا تكون الا في الجسم السليم وصحة
الابدان تنتج الاخلاق الجميلة . بل اذا كنتم تريدون نظاماً وقوة ودماً
نقياً خالياً من جرائم الامراض السامة وصدوراً لا اثر فيها لجنود هذا
العدو الذي يبني حصونه وابعاده في رئاتكم ورئات أبنائكم وعيونا
براقه لا يعرفها الرمد فيطفئ نورها فعليكم بتطهير بيوتكم من
ادرانها حتى تصلح للسكنى فانما البيوت ملاجئ تقينا افات الحياة التي
تدب وتسعى في كل مجتمع انساني ولكم الخيار بين ان تحصلوا على الصحة
والعافية بالنظافة والنظام وبين أن تبقوا خالدين في انحطاطكم
بالافذار والافساخ .

المسكرات

لا جدال في انها من أكبر مواضع ضعفنا ومواطن علاننا كما هي من جملة أسباب تأخرنا في مضمار الحضارة والارتقاء وسيظل المجتمع معذبا بسببها دهرًا طويلا ان لم يقيم زعماء الاراء ويحذروا الامة منها بوصف عواقبها الوخيمة حتى تردها مشفوعة باللعنة والاحتقار يقول المثل الانكليزي أن من البله ان يعتقد الانسان بزوال اخطار وهمية ليلقى بنفسه في اخطار حقيقية وهكذا نحن ترانا بلهاء نعتقد بان الخمور تذهب اللوعة والشجن وتحدث الانشراح والسلوى فنلقى بانفسنا من حيث لا نشعر في هاوية التهلكة والامراض الويلة ومع كل ما رأيناه من أضرارها واحتملناه من مصائبها وأوزارها فقد انتشرت بيننا وعمت فلم تكن بلدة ولا قرية بيت ولا ناد يخلو منها وحتى صارت في موالد وأعياد الشهداء من الواجبات المقدسة التي لا يتم للمحتفلين السرور بدونها مهما ارتكبوا من الخطايا بتلوينهم جوانب المعابد والاديرة بخمر حرم الله تعاطيها. وقد يكون من الخطا في القياس الاعتقاد بان هذه العادات منشؤها التقاليد القديمة فانما منشؤها الحقيقي فساد التربية الاهلية التي ورطتنا في البذاءة والرذيلة والاضطراب والتسرع والضلال وكل ما هنا لك من ضروب الانحطاط التي قضت على سعادتنا الداخلية وعلى تقدمنا الحيوي.

قال المسيو جبرائيل شارم أن أفراط الإقباط في شرب «العرق»

والمسلمين في تعاطي الحشيش من أكبر عوامل التأخر في الامة المصرية لان القبطي يستخرج هذا الحجر بنفسه ويخزنه في بيته ليجمع منه قبل تناول الطعام كما يجمع الافرنج النبذ والشمبانيا . أما المسلم فغالبا ينزوى في قهوات لتناول الحشيش بعيداً عن بيته . وقد فات هذا الكاتب أن السواد الاعظم من شبان الاقباط وهم مجموع الشعب الذي تتألف منه الامة وعليهم يتوقف صلاحها وارتقاؤها ينفقون ليااليهم مثل اخوانهم في اقفاص جهنمية يطلق عليها اسم «نخارات» حتى اذا فقدوا ارشدهم من المشروبات المغية للعقول وأخصها «العرقى» عادوا الى بيوتهم متمسكين جدران المنازل حتى لا يهروا الى الحضيض من تناقل خطواتهم وضعف ادراكهم المتولد من خمود القوى الحيوانية وهبوط القوى النفسية

ومن المحزن أن فريقاً من الاغنياء في المدن لا يسكرون الا على قارعة الطريق بدون حياء ولا خجل فتراهم صفوفوا صفوفاً خارج الحانات الى ما بعد منتصف الليل حتى اذا استوفوا من لهيب الحجر زجوا بانفسهم اماً في بيت ما خور تقضى علي ما تبقى من شعورهم وأماً في بيوتهم حيث يقضون على راحة زوجاتهم وأولادهم ويزيدون عيشهم نكداً وتنغيصاً . وهذا الفريق الذي تصرعه الثروة الى هذا الحد فيلج الحانات طول حياته هو الفريق الذي لا يستفيد الناس ولا أهله منه بل كثيراً ما يستعين بميوله الشريرة على ايصال الاذى اليهم اذا استطاع .

ولم يقتصر رجالنا في التوله بالخمر على ما تقدم بيانه بل نرى الغباوة

تبعت حتى في احكامهم وافهمهم على تناولها في بيوتهم فتجد الوالد يأخذ
 مجلسه حول أطفاله الصغار وأدامه قارورة من الزجاج يطلقون عليها
 اسم « بنورة » يجمع منها الرق غالباً جرعة بعد أخرى ثم تدفعه نشوة
 الخمر الى النكات القبيحة مع أولاده فيدل هذا او يطلب من ذلك أن
 يسب أمه ويشتم قريبه وان هنرت النشوة أشرك أولاده معه في الكحول
 فيفرغ لكل منهم نقطتين في الكأس يطلقون عليهما اسم « خيط »
 فان الهبت حلوقهم وبدي عليهم التأفف ازداد قهقهة وصخباً . فما الذي
 نقوله لأولئك الالباء الذين ييذرون في صدور أولادهم هذه البذور
 السيئة تقول انهم يحنون عليهم وعلى أمتهم اكبر الجنائيات وافظعها
 ويدفعونهم الى الادمان على الخمر من صغرهم وكثيراً ما نسمع أن ولداً
 ينتهز فرصة غياب والديه ويفض قناني الخمر مع رفاق له تقليداً بأبوالد حتى
 اذا انتشى وتهيجت حواسه أعوزته كميته من الكحول في المرة الثانية أكثر من
 الاولى فلا يمضي قليل من الزمن حتى يصير سكيراً مدمناً يضوي في زوايا
 الحانات وخبايا الخمارات منفقاً ماله ومضحياً شبابه وأخلاقه وحياة أمته
 بين الكاس والطاس ولهذا نرى أن اخطار الخمر ليست قاصرة
 على رجال اليوم بل على رجال الغد بل على الذرية القادمة . ولهذا نرى أيضاً أن
 شباننا وأغنياءنا ييخلون بالدرهم على المشروبات النافعة ويجودون بالالوف
 على الخمر والملاذ .

ولقد يزعمون أن الخمر يصلح المعدة ويفتح الشهية ولكن ظهر

الآن خطأ هذا القول فان الاستاذ كرونكر السويسري أثبت أن ١٢ درهما من الكوؤل تكفي لاضطراب الوظائف المخية وتشويش الخلايا العصبية في اشد الناس قوة وأمنهم صحة ذلك لان الشعور العصبي يهبط من ٩١ قدما يقطعها في الثانيه الواحدة الى ١٣ قدما فقط فيجعل حواس شاربه أضعف سبع مرات مما كان عليه في حالته الطبيعية

ويزعمون أيضا أن المشروبات الروحية تساعد على الهضم ولكن الاستاذ كاسبر اثبت أن العصير الذي تفرزه المعدة بقوة الكوؤل لا يحتري على بيبسين وانما هو سائل تخرجه الغدد المعدية لمقاومة فعل هذا السم القوي حتي لا تكون وطأته شديدة على الانسجة التي يلامسها .

وكذلك يزعمون أن الخمر يساعد على تذيبه الاعضاء الجسديه وما هو في الحقيقة الا محرض على الانحلال الجسدي بأضعاف حركة القلب وشلل المراكز العصبية كما قال الاستاذ متشكوف الروسي . وهنالك فريق يعتقد أن كمية الكوؤل في العرق أقل من غيره فيكثرون من تماطيه مع انه يحتوى عليه بنسبة ٧٠ في المائة في حين أن نسبته في البيرا ٦١٤ في المئة وفي النبيذ من ١٠ الى ٢٠ وفي الكونياك والوسكي من ٤٠ الى ٥٥ أضف الى هذا ما يستعمله الخورجيه الخبثاء في استخراجهم بوضع الثلاثة أرباع كوؤل والربع ماء ثم يغاونه مع عقاقير مغيبه لاهلاك السكيرين وسلب أموالهم

وإذا كان من الصعب أن نحصي كل مضار الخمر فيكفيها القول
أنها أفقدت الأمة نصيباً وافراً من القوي العقلية والادبية وزادت
في أبنائها الطيش والنزق والتقلب والغرور وضعف الإرادة وأورثت
الكثيرين الفالج والخلل والسل وغيره من الأمراض المنتشرة في بيوتنا
وفي مجتمعاتنا وأسلفنا القول عنها أنها من أكبر مصادر الشقاق العائلي
وفساد تربية الأولاد وسوء إدارة المنازل والمعيشة .

على أنه لا يجب أن نياس من إيقاف تيار شرورها لأن اليد
القديرة يد الدين القويم التي أحيتنا الى اليوم وفتحت أمامنا باب النجاة
لا تزال معنا وهما هي تفتح لنا أبواب السعادة بلا تعب ولا عناء
فاقرأوا أسطورها وتمعنوا فيها جلياً ترحموا أنفسكم وتجعلوا امتكم صالحة
للحياة لأن الاخلاق الجميلة اذا كانت تنتج صحة الابدان كما قال فيلون
قانا أقول لكم أن صحة الابدان تنتج الرقي والحضارة .

(٤) التربية الاهلية

إذا كانت حالتنا العائلية على ما أجمعنا وامرأتنا على ما وصفنا فترية
الاطفال وكيفية احتضانهم وتغذيتهم تكون ناقصة ومعيبة بطبيعة الحال
لأن العائلة أساس الهيئة فإذا فسدت العائلة فسدت الهيئة بل لأن
الطفل يستمد من عقل امه قوة او ضعفاً ومن عينيها المفتوحتين نوراً
أو ظلاماً ومن نفسها ارتقاء أو انحطاطاً .

وغني عن البيان أن أهم العوامل في تربية الاطفال هي الوراثة والوسط فالاولى معناها أن الاطفال يرثون عن ابائهم الطباع والاخلاق والقوى العقلية بل يرثون أيضاً طباعاً تنحدر اليهم من جيل او جيلين وقد قال الاستاذ سلفانوس استاول أن الانسان لا يعيش لنفسه بل له علاقة بالجيل الماضي وواجبات نحو الجيل الآتي فاولاد اليوم يعدون أجساماً وأخلاقاً ولولادهم ولا جيال وأمم تخلفهم أي ان الافكار والاميال والطباع التي تتأصل فيهم اليوم تنمو في كبرهم وتسودهم فتكون دليلاً على ما تصير اليه الامة المنحدرة منهم بعد مائة عام .

اما الوسط فهو العائلة أي المدرسة الاولى للانسان تزرع في صدره المباديء وتنقش على لوح فكره الطري الاصول فلا تقوى على ازالتها الايام والاعوام لان قلب الطفل كما قيل صحيفة بيضاء يرسم عليها العلم او الجهل سطوراً كما ترسم عليها الفضيلة او الرذيلة نقوشها

وقد يطول بي الوقت لو استرسلت في هذا البحث فاكتفي بها الممت اليه واتابع كلامي بذكر بعض ملاحظته من العوارض الاخرى في التربية الاهلية سواء كانت راقية أو منحطة واليك البيان

أولاً - ان أكثر الوالدين يربون أولادهم على قواعد عقيمة فاما ان يضغطوا عليهم ضغطاً شديداً واما ان يربوهم على الدلال فالضغط يؤثر عليهم عند ادراكهم كنه الحياة تأثيراً سيئاً والدلال يعدمهم كل هممة ويعودهم على كل رذيلة .

وثانياً - يلفظون أمامهم الفاظاً غير لائقة ويشرح صدر الوالد على الأكثر إذا حمل طفله على ذراعيه ليقبله فينتف هذا عثونة أو يبصق على وجهه أو يسمعه بدل القبلة الأبوية واحدة من الشتائم التي يسمعا منه أو من والدته أحياناً ومنهما ما عافى شجارها وبهذا يزالان من نفسه غريزة الحياء والوقار والفضيلة ويحلان محلها السفاهة والفحشة والذيلة وغيرها من أمهات الرذائل .

وثالثاً - يمثلون لهم عيوب الخلقة وضروب التشوه عقوبات الهية فتولد فيهم القسوة والغلاظة والسخرية بأصحاب الماهات فلا تعود عواطفهم تنبّه للرفق بالبائس والرحمة على الفقير العاني . وهذا ما حدا إلى البخل العام الذي قبض الأيدي عن البسط في كل مشروع حيوي أو خيري عام .

ورابعاً - يشحنون عقولهم بالخرافات والاحجية والطلاسم والقصص الوهمية التي يطلقون عليها اسم « حواديت » ويخيفونهم بالبيع والمفاريت والشیطان فتتجسم هييتهم أمامهم فتتقبض صدورهم وتنكمش أفئدتهم فينشأون خنوعين فقراء الحواس والشعور لا يعرفون الاقدام والشجاعة والنشاط وكم سد هذا الخوف على الكثيرين منا مسالك الرقي واقعدهم عن العمل وقبض على رقابهم بقوة حديدية فهبط بهم إلى وادي الفشل والخيبه .

وخامساً - يتركونهم يهرعون إلى الأزقة والطرقات عرضة

للإتيقار الى رفاق أكبر منهم سناً وأمهراً في أساليب الفساد فيوردونهم
موارد التهلكة ويصوغون منهم اشقياء وشريرين قساة القلوب غلاظ
الأكباد .

وسادساً - يجعلون منزلة أحدهم مرتفعة عن الآخري ولدون في
نفس الأول الأثرة والشره والكبرياء والغضب وحب الذات وغير ذلك
من الصفات القبيحة وتتأصل في نفس الثاني الكراهة والمذلة والعبودية
والمضادات الكثيرة لآخوته وأبويه حتى لينزع به الاعتقاد الى أنهم
ألد أعدائه وإذا ما كره أقرب الناس اليه فلن تعد تتولد في نفسه محبة
النوع الانساني .

وكل هذه العوارض فوق جهل الامهات بوسائل التربية الصحيحة
اشراك تفتح أفواهها لابتلاع الاطفال بتعاقب العلل والامراض
الاجتماعية عليهم فيترعرعون سقيمي الطباع فاسدي الاخلاق عليلي
الاميال سيء الاقوال والافعال يردون موارد التهلكة ويندفعون الى
مواطن الخطر والتي بنظرة على صغار الاقباط الذين يملأون الأزقة
واصلاحية الاحداث يتضح لك الامر بان القي بنظرة على شبانهم
الذين يختلفون الى القهاوي والحانات التي اصبحت اليوم مكاتبهم ودور
عملهم تظهر لك أسباب تحول قوة الخير فيهم الى الشر والغيرية العمومية
الى الغيرية الشخصية .

هذه نتائج التربية الاهلية الا أن في امكاننا تلافي كل هذه النقائص

والعيوب اذا وجهنا جل عنايتنا الى تهذيب الفتاة تهذيباً صحيحاً مناسباً لطبيعة وظيفتها تهذب عواطف بنيتها وأخلاقهم بحيث تجعلهم يشبون على شريف الخصال ومستقيم المبادئ التي تؤهلهم الى اتقان كل الوظائف الشخصية والحوية العامة وعندها تتحول هذه العقول العقيمة الى عقول منتجة وهذه القفار الجرداء الى جنة مثمرة خضراء تتوفر فيها السعادة ويرفرف عليها ملاك السلام

(٥) تربية البنات

ثبت أن لا نهوض للامة الا بنهوض المرأة ولا نهوض للمرأة الا اذا تعلمت وتهذبت تهذيباً قوياً يزيد هادعة ولين عريكة ومعرفة بالجمال الحقيقي الذي مصدره النفس أي تهذيباً يصوغ من الفتاة امرأة كاملة تجعل بيت والدها وأخيها وزوجها وابنها جنة زاهرة ترفرف فوقه السعادة ويهرب منه الشقاء وتعز بها الانسانية التي يتوقف القسم العظيم من حياتها عليها .

على أن التعاليم المدرسية الحالية ليس كافياً لتربية فتاتنا أن لم يضم اليه التهذيب العملي وكم من فتيات جاهلات بالقراءة والكتابة أكثر تهذيباً من فتيات متعلّقات مع أن التهذيب والكمال هما دعامة العائلة وركن سعادتها فان كانا قوين كان البناء متيناً وان كانا ضعيفين لا يلبث أن يتداعي البيت الى السقوط

قال العلامة شو بنهور الالماني يجب أن نعلم الفتيات بين أربعة

جدران أو بين أربعة أناجيل حتى يهذب التهذيب الخالي من كل شائبة وحتى لا يكون هناك موجب لفساد أخلاقهن لأن أخلاق الفتاة كآلة الفونوغراف تلتقط كل شيء وينطبع فيها كل شيء، ولما كانت عاطفة الميل النفساني فيها قوية كان الخوف من فقدان فضيلتها شديداً إذا تعلمت ولم تهذب التهذيب الراقى المنطبق على قواعد الدين ووصايا الفضيلة التي حفرتها يد الله والتي تجعلها كاملة عاقلة تسعد زوجها ويسعد زوجها بها .

فنحن نطلب اليوم تهذيباً راقياً منطبقاً على قواعد حكيمة حتى نقدر الفتاة أن تقوم بالواجبات المنزلية كترتيب مسكنها وتربيته أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها اقتصاداً يجعلها تعتبر الدراهم عبارة عن الاستقلال والحياة والشرف والوجاهة ولهذا المعنى مدح العرب بخُل الحرائر من السيدات كما مدحوا فيهن الحياء وخوف العار والمذلة وواضح أن تربية راقية كهذه لا يمكن أن نصل إليها من مدارسنا الحالية خصوصاً من تلك المدارس التي تتولى أمورها اليد الأهلية واليد الحاكمة واليك البيان

المدارس الأهلية

غير صالحة بالمرّة للتعليم والتهذيب لأنها تجري بلا نظام ولا نظر في وجود النفع وتستدعي انقلاباً كبيراً لأن دور الفتاة أكثر أهمية من دور الشاب وهي مربيته تزرع في قلبه الفضيلة وعشيرته تهذيبه

بفضيلتها الى طريق الفضيلة وأمه ترشده بكمالها الى طريق الكمال
فصلحتها اليوم لا تقتصر على معرفة كلمات الاستقبال وعشرة البيت
ومحادثة المعلمة فهي حياة شبيهة حياة بلاد حياة أمة تصبح غنية بعلمها
وادابها ولذا أقول انه يجب من كل بد زيادة العناية في ترقية هذه المدارس
وايجاد معلمات مهابات فيها يعرفن كيف يربين أمهات الغد المسؤولات
عن سعادة العائلة ومستقبل الأمة وكيف يقوين فيهن ملكة التفكير
وقوة النفس والارادة والصبر والشبات والتعقل واحتقار الامجاد
الكاذبة حتى يتسنى لهن معرفة ان في ذاتهن قوتين قوة حب الجسد لتنازع
البقاء وتخليد النوع وقوة حب النفس بترقية النفس بل نريد معلمات
يعرفن كيف ينمى في نفس فتاتنا حب الوطن فلا نلبث أن نرى الرجل
وطنيا بكل معنى الكلمة وكيف تربيها على التألف مع رفيقاتها فلا
يطول الزمن حتى نرى جامعتنا القومية قد تألفت وارتبطت وكيف
تلبس مما حاكته يد الوطني فلا يلبث أن يقتدي الرجل بها فتعيش
صناعة الحياة والنسيج وكيف تملأ بيتها بالاثاث المصري فتتحول
الابصار الى احياء مصانع الوطن ومزارعه وكيف تعيش مع زوجها
وتسعد عائلتها وكيف تعجن، تطبخ وتربي أولادها وتحببهم وتنظفهم
وتطهر منزلها فلا نلبث أن نرى عائلتنا قد ارتقت وتربيتنا قد تعالت
وأخلاقنا قد سمت الى الدرجة التي تعد لنا في الحياة الدنيا جنة قبل
جنان الخلد

على أن مثل هذه التربية الكاملة تستدعي زمناً أطول حتى تستوفي
الفتاة كل أصوارها وقد أجمع المشتغلون بترقيتها على ضرورة مزاوتها
للمدرس والعمل حتى تبلغ سن العشرين لتتمكن في خلال هذه المدة من أن
تتعلم التعليم العامي والعملي وتقتنها اتقاناً حسناً يجعلها مستعدة للحياة
المنزلية ويكون ضماناً قوياً لسعادتها

وقد لا يجب ترك هذه المدارس في انحطاطها وتقائصها اعتماداً
على انشاء السككية التي لو تمت فلن تفتح الا بعد سنين طويلة ولو فتحت
لا تمتد فروعها الى جوانب البلاد ولا تمكن الرجل الفقير من ارسال
بناته اليها وعندي انه اذا لم تتحسن مدارسنا فخير للامه أن تترك بناتها
للطبيعة وتسلم أمرهن الى الفطرة حتى لا يخسرن من شمائلهن الخيرية
المولودة معهن الا قليلا

المدارس الاميرية

يقولون انها أقوم المدارس الاهلية تجمالا وشكلا ونظاما وأنا أقول
لكم انها أكثر اهمالا في التربية الصحيحة وأضعف في التعليم لاسباب
كثيرة أهمها اهمال تدريس علم الاخلاق روح الفتاة وسياس ففيلتها
وكالها وثانياً تعيين مدرسين للتعليم مع المعلمات وهؤلاء مهما
كانت نزاهتهم ودرايتهم وعلمهم لا يستطيعون تقويم المتعاملات التقويم
المطلوب مثل المتعاملات فضلاً عن الفساد الذي يلحق بالفتيات من
وجودهم ولا أقول فساداً بالمعنى المتعارف بل بالمعنى الادبي وان هذه

الثامنة في تلك المدارس من الامور التي تذهب بمستقبل الفتيات وتعرض حياتهن لاختار كثيرة لا أرى وجوباً لذكرها . ولذلك أجد نفسي مصيباً في كل ما اقرره عنها في كل ما أقوله من انها غير مفيدة لتعليم الفتيات بل فاسدة لهن لانها تخالف القاعدة الاساسية في تعليمهن من جهة ولانها تجر عليهن ويلات من جهة أخرى . وانه ليسرني كثيراً أن يكون عدد بناتنا فيها لا يتجاوز العشر فتيات منهن اثنتان في القسم الاعدادي و٨ في القسم الابتدائي .

وزيادة على ما تقدم أقول أن بعض هذه المدارس ومدارسنا لا يخلو من وجود معلمات فاسدات الاخلاق يفسدن اخلاق المتعلمات وآدابهن فضلاً عن اتكأهن على العائلة في تربية الفتاة لاعتقادهن أن واجبهن مقتصر على تعليمها قواعد اللغة والقراءة والكتابة فقط مع أن المدرسة معمل كبير تساهم العائلة هذه المخلوقة الصغيرة الرطبة الناعمة الساذجة لتعمل منها امرأة عارفة كاملة وتهذب فكرها وقلبها وروحها لا أن تجعلها مسخرة تنكرها الانسانية وتنكرها أمها وينكرها أبوها

المدارس الاجنبية

هذه المدارس وان تكن تربيتها أعم وأحسن من تربية مدارسنا الا انها تعلم بناتنا ما يجعلهن أجنبيات عن الوطن وعن الامة وعن اللغة وعن الدين والعقيدة فيتفرنسن أو يتكلمن فيها ثم تدفعهن اليها بعد أن تكون قد غرست في قلوبهن الاخلاق والطباع والمبادئ الغربية التي

لا تلائم خطة زوجها ومبادئه فيقع بينهما النفور ويحصل الشقاء بل وإذا دام الحال على ما هو من أمر تهذيبها فسوف يصبح الاقباط أجنبيا بحاق قلوبهم لأن دماغ الرجل موقوف على أعماله أما عواطفه وأياله فتوقفة على عواطف المرأة وأميلها

هذه هي مدارس الفتيات في بلادنا ومن العيب أن تنهض الأمة من قعودها وتقوم من سقطتها وتستريح عائلاتها من شقوتها إذا لم تتحسن حالتها تحسينا تاما كاملا لتتهذب بناتنا التهذيب اللازم

عدد القارئات والاميات

واني اورد هنا جدولا بعدد القارئات والاميات بيننا وبين اخواننا لاثبت به ان حالة التعليم النسائي ضعيف جداً . واليك البيان

السن	عدد القارئات		عدد الاميات	
	مسلمات	قبطيات	مسلمات	قبطيات
٤ - ٥	٢٠	٦	٤٨٣٩٣٥	٥٦٠٩٢
٩ - ٥	١٧٧١	٧٢٨	٧٠٩١٢٧	٤٧٩١٦
١٤ - ١٠	٣٠٠٥	١٥٥٤	٤٧٦٢٠١	٣٢٧٩٨
١٩ - ١٥	١٨٩٢	١٢٥٨	٣٧٧٦٧٩	٢٦٨٦٦
٢٠ فما فوق	٣٨٩١	٢٢١٩	٢٠٧٦٩١٠	١٨٠٠٨٨
المجموع	١٠٥٧٩	٥٧٦٥	٥١١٣٧٥٢	٣٤٣٧٦٠

واذا دلنا هذا الجدول على وجود ١٦ متعامدة في الالف بين الفتيات القبطيات و٢ في الالف من اخواتها المسلمات أي ان نسبتها ثمانية اضعاف نسبة اخواتها فهذا النسبة وان كانت حسنة من حيثية المقابلة العددية في نظر البعض الا انها سيئة جداً من حيثية كثرة الجاهلات فضلاً عن كون المتعامات تعتور تهذيبن تقائص عديدة يجب تلافيها . فاسمع كيف وصف المسيو كليمانسو الوزير الفرنسي تربية بنات وطنه قال . اذا بلغت الفتاة الثانية عشرة من عمرها وقد اتمت دروسها وعرفت التاريخ والجغرافية واداب اللغة عرفت انه ينقصها شيء لا بد من درسه وتعلمه وذلك الشيء هو كيف تصير امرأة :

فاذا كانت غنية وجب عليها ان تعرف كيف تتفق مع الخياطة على أجرة ثوبها وكيفية تفصيله وثمان قماشه ولون ذلك القماش ومتانته واذا كانت فقيرة وجب عليها أن تعرف كيف تفصل ثوبها وكيف تخطه بل كيف تشتريه وكيف تعرف متانته وفي المنزل كثير من النفقات الصغيرة اذا أدركت سرها وفرت المال الكثير واذا رزقت ولدا عرفت كيف تربيته وكيف تداويه اذا اعتلت صحته قبل وصول الطبيب فالبنت يجب ان تكون خياطة وطلاخة وممرضة وطبيبة . وهذه هي الحياة العملية التي تنصرف اليها الهمم كما تنصرف الى فتح المدارس العامة .

وحيث ان الامة شعرت بضرورة انشاء كلية للبنات وأخذت تعمل وتهتم لنجازها فانا اقترح على حضرات اعضاء لجنتها أن يكون في هذه

الكلية قسم عملي تتدرب فيه الفتيات على كل ما يلزمهن من أمور الحياة كما هو المتبع في كليات أوروبا واليك مثال منها على ما وصفه أحد نوابغ الاتراك المشتغلين بترقية المرأة التركية قل .

زرت الكلية الكبرى للفتيات في باريس واجتزت غرف التدريس فيها بسرعة الى أمانة التدريب العملي التي هي في الحقيقة حياة المرأة والواجب الأول الذي يجب أن يعنى به فكانت أول عبارة وقعت في أذني بهذه الامكنة هي قول المعامة لتلك الفتيات المتعلمات عزيزاتي ان اتقان صنع القبعات يتطلب انشراح الصدر ثم اخذت تشرح لهن كيفية صنع القبعات وفي يد كل واحدة منهن ابرة في انموذج ثم انتقلت الى غرفة أخرى قرأت الطالبات وكلمهن قد أتممن دروسهن يشتغلن بالتفصيل ودرس أنواع القماش كما رأيت الأقمشة على تبيان أنواعها وأشكالها والمحل عبارة عن سوق تمثل فيه البنات الباعة والشارين والتفصيل والخياطة وخرجت من هناك الى حيث يدرس الطبخ فرأيت الطالبات فئات هذه تطبخ وتلك تعجن والآخرى تذوق الطبخ وغيرها تقدر اسعاره وجارتها تحول لونا أمامها الى لون آخر وزميلتها تقدر الاثمان وتبين وجه الاقتصاد وتريبتها تفصل الصحون والاواني وتصفها وقرينتها تنظف الحلال وتجلوها وقس على ما وصفت لك ما لم أصف وقد تركت هذا القسم الى قسم آخر فالفيتة خاصاً لتدريس الطالبات التطبيب فهذه تلف الرباطات وتلك تحلها وهذه تشرح كيف يقل الجريح وتلك تبين

كيف يداوي ثم زرت القسم الاخير فرأيت الطالبات مشتغلات بتربية الاطفال حتى اذا صرن غداً أمهات يكن على بينة من هذه التربية . وقد عرفت ان الطالبة اذا انتهت من قسم دخلت في الآخر تلك هي البنات اللاتي يربين الامم فهل من صوت يسمع أناسنا هذا التعليم ونساؤنا هذه التربية حتى نصير شعبا رجاله رجال لا ذكور فقط ونساؤه نساء لا أنثى للحبل والولادة .

(٦) الحجاب واضرارہ

عاشت المرأة القبطية من اول الخليقة الى عصر الرومان فالعرب حرة بلا نقاب ولا حجاب فكانت يد . حصر في تمدنها ومشعلة نار الوطنية في صدور بنيتها حتى تمكنت أن تهز تلك الصدور الشماء في زمن الخليفة ابن مروان فهزت عرشه وقلبت ملكه رأسا على عقب . ثم بقيت تنير طريق رجلها وتشاركه في اعماله وتقوي عزيمته على احتمال المصائب والاضطهادات الشداد حتى تولى احمد بن طولون ملك مصر في القرن التاسع وشاءت مشيئته أن تستوى المرأة القبطية مع اختها المسامة في التحجب فرضيت به صاغرة وحملته طائعة ثم صار لديها عادة كما اصبح اليوم عقيدة في نظر الكثيرين الذين يتصورون حرية المرأة وسفورها من موجبات الخلاعة والفساد

وقد كان للنساء القبطيات في ذلك العهد البائد - عهد الخلفاء والمماليك والأتراك - زى مخصوص يميزهن عن اخواتهن ويزدهن

تقيداً وعبودية حتى اضطردن في عهود كثيرة وعصور مختلفة الى الاحتجاب في بيوتهن طول الحياة حتى لا يعرضن بكرامتهن لمخاطر التعديات القسرية من الرعاع والفاستدين والظاهر أن تلك العادة قد بقيت الى هذا العصر بدليل وجود سيدات من الاقباط مسجونات في منازلهن لا يخرجن منها الا الى القبر حيث تدفن فيه. ولئن استحسن هذا الدفن الحيوى في ازمة العبودية والمظالم فقد يستقبح بلا مرء في عصر الحرية والعدالة

وواضح أن تحجب المرأة على هذه الصورة الشذبة أو على الصورة العادية من الضرر بمكان عظيم وحسبنا منه انه جعل العذارى في بيوتهن اشبه بالاقمشة الموضوعة في مخزن يدخله الشبان ليشتروا منه ما يعجبهم بحسب النوع لا اللون كما جعل الرجل يتمتع عن مصاحبة زوجته الى محال الرياضة ليعطيها الدروس اللازمة ويشرح لها حقيقة كل ما يقع نظرها عليه من المشاهد الطبيعية أو الصناعية أو الأثرية لتطرد من عقلها الخرافات والاهام وتحل محلها الحقائق. ذلك فضلاً عن ان وجودها معه في اوقات الراحة والتنزه يمنع طمرحه الى غيرها .

على أن احق الناس باللوم هم اولئك الذين يعتقدون أن التحجب للمرأة القبطية واجب أن لم يكن مشاركة لاختها المسلمة في التقيد فلانها ليست على جمال تستوي به مع المرأة الغربية في الزي وهذا الاعتقاد فاسد وباطل من طبيعته لان المرأة المسلمة من جهة قامت تطالب بحريتها

رغمًا عن ثوران الافكار واعتبار الحجاب في نظر ائمة دينها من الامور الدينية المحضه وثانيًا لان قتياتنا يلبسن في صغرهن الملابس الافرنجية ويخرجن سافرات الوجوه فلو ابقين الى نهاية العمر على هذه الصورة لم يكن هناك ما يدعو الى السخرية بها أو الى عدم مماثلتها للمرأة الغربية .

زد على ذلك أن الدين المسيحي نهى عن الحجاب وعن تغطية وجه المرأة بالبرقع وعن لف جسمها بالحبرة أو الازار ليس فقط لان كمالاته اعظم سياج لفضيلتها وواق لعصمتها بل لان المرأة سواء كانت فاضلة أو شريرة لا يمنعها الحجاب أو السفور عن البقاء في ميولها بل كثيرا ما يدفع التقيد بالمرأة الخلوغ الى استنباط الحياء وارتكاب افطع الجرائم لاتمام امانيتها الفاسده . وقد اسلفت أن المرأة القبطية طبعت على العفة والطهارة وازيد الآن أن تلك الصفات طبيعة فيها من ازمنة الوثنية كما قال العلامة رولنسن الاثري في المجلد الثاني من مؤلفه عن مصر القديمة .

وهذه الرواية التاريخية تزداد قوة ووضوحا اذا التفننا الى الصور الباقية في الهياكل القديمة وفي الاقوال المنقوشة على اوراق البردي ومنها اخذ العلامة ولكنسن العبارة الاتية في عرض كلامه على العوائد المصرية « أن النساء الغربيات اذا اتين الى مصر كن يلتزمن الامثال لعادة المصريات بان يخرجن سافرات الوجوه لان السفور كان معدودا

من ضمن الشرائع المصرية القديمة وعليه وحده يرجع الفضل الأكبر في تمدن المصريين ونبوغهم في العلوم والفنون والصنائع والحكمة والفلسفة .

وكل هذه الأدلة الواضحة براهين جلية على صحة ما ذهبنا اليه من وجوب تحرير المرأة لتربية الامة ورفع نير التعاسة والانحطاط عن عاتق ابنائها . نعم قد يستصعب البعض العثرات التي يجب مقاومتها قبل أن يتيسر تنفيذ هذا التحرير وأول هذه الصعوبات وأهمها ناشئ عن وجوب مراعاة أميال الفئة الجاهلة من الشعب التي تدفعها روح المحافظة على العادات الى كره كل نظام حديث ولكني أقول لكم إن كلمة واحدة من الدار البطيركية الى الشعب تكفي لرفع الحجاب واعادة المرأة الى زيتها القديم الذي خلقت له والذي لا خطأ فيه لصوت الكتاب المقدس ولشريعة السيد المسيح .

الحياة الدينية والمالية

٦

أصبح الدين في بيوتنا ومعابدنا ومدارسنا كالتواة الملفوظة فان أنب طلبته في الهياكل وبين المذابح وهي بيوت العبادة لا تجد من يعرف من فضائله الا تلك الصاوات التي تلفظها الشفاه عن غير عقيدة ولا ايمان وان انت التمتسته من المدارس وهي الآن مسرح الدين ومستقره لا ترى الا اموراً عرضية أو قشوراً تمر بك دون فهم ولا

تبصروا ان أنت التمسته في العائلة وجدتها لا تعلم من امره الا كما تعرف
من الواجبات المنزلية وبالاختصار فان الدين بيننا يكاد لا يكون له وجود
مع ان لدينا من المؤلفات الدالة على فضائله وكمالاته وأدابه وتفسير آياته مما
لانشكو والحمد لله من وراءه عذرا

تلك هي حالتنا الدينية اليوم ولو ذاع عنا في انحاء الارض باننا
الشعب الوحيد الذي تعلق بدينه وتمسك بفضائله وحافظ على اصوله
الاوليه ونواميسه الاساسية قرونا واجيالا رغم ان يد الظلم التي اوهت
عزيمته واعاصير الاضطهاد التي هبت عليه فمزقت شمله . ولم يكن ذلك
التعلق الشديد طبعنا الا من الاعتقاد الراسخ في الاذهان بان الدين هو
الكفيل بسعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة وهو الذي يرفع
النفوس الساقطة الى اوج الكمال وينقلها في لحظة من رتبة الحيوانات
الى رتبة الملائكة .

والواقع يشهد أن الدين المسيحي هو وحده الذي علم الانسان مالم
يعلم . هو الذي عرفه معنى الحياة الصحيحة . هو الذي اوضح له طريق
السعادة بل هو الذي انار ظلمات العالم المتخبط في ليل الهرمجية ودياجير
التوحش حتى أن كثيرين من الفلاسفة والحكماء وعباد الوهم وممجيدي
الطبيعة وسجدة الخيال لم يسعهم الا الوقوف معجبين مبهورين امام
عظمة المبادئ الاجتماعية العالية التي وردت في الدين المسيحي
والذي يلقي بنظرة على تاريخ الاقباط يجد انهم بلغوا ارقى درجات

الحضارة والمدنية في العهد الذي كانوا متمسكين فيه بدينهم ومحافظين على حقائقه وعقائده الصحيحة ثم انحطوا وتأخروا في الازمنة التي تجافوا فيها عن الدين وعن التمسك به وعليه يصح القول من أن انحطاطهم الحالي وتخليهم عن الجري مع تيار الرقي الاجتماعي يرجع في اهم اسبابه الى تقاعسهم عن الاخذ بفضائل الدين وكالاته أو بلحري يرجع الى جهلهم بقواعده جهلا مطبقا هو في الحقيقة عار عليهم وعلى ذريتهم القادمة .

والعظة البالغة الكائنة امام عيوننا والتي يمكن أن نتخذها درساً لنا هي تناقص عدد الاقباط الارثوذكس سنة بعد أخرى وتكاثر الاقباط الكاثوليك والبروتستنت تكاثراً سريعاً حتى لم نجد شعباً أفسح صدره عن رحب لاعتناق مذاهب وعقائد أخرى كشعبنا لجهل أئمتة . وفي الجدول الآتي ما يدل باجلى برهان على صحة هذا البيان .

أقباط	سنة ١٨٩٧	المئوية	سنة ١٩١٠	المئوية
ارثوذكس	٥٩٢٣٧٤	٩٧ و ٢	٦٦٧٠٣٦	٩٤ و ٤
كاثوليك	٤٦٣٠	٠ و ٨	١٤٥٧٦	٢ و ١
بروتستنت . . .	١٢٥٠٧	٢ و ٠	٢٤٧١٠	٣ و ٥
المجموع	٦٠٩٥١١	١٠٠	٧٠٦٣٢٢	١٠٠

ولست اقصد من نشر هذا الجدول ان احقر المذاهب الاخرى أو أن

أَتَعْمَدُ اهانة الذين تمسكوا بها لاني من اول القائلين بحرية الناس في ما يعتقدون انما غرضي الوحيد ان ابيه من جهة أبناء الشعب الى ما يعتورهم من الضعف والانحلال بتمزيق جامعهم القومية الى فرق شتى تقاوم بعضها بعضاً مقاومة لا يكون وراءها الا الموت والفناء وأحث من الجهة الاخرى رجال الاكليروس وأئمة الذين عليهم يقومون من نومهم العميق ويبذلون الجهد في تعليم الشعب فضائل دينه واسرارده وطقوسه التي ترجع اسعادة الانسان في حالتي الانفراد والاجتماع وفي الدنيا والآخرة وبهذا يتمون الواجب المفروض عليهم ويحافظون الشعب على عقائده الاصلية فحافظته على ماله وحياته وشرفه وكرامته

الدين في العائلة

كأنني بالقارئ يصيح بي كفى كفى لا تذكر هذه الكلمة ولا تقل الدين في العائلة لان الاقباط عن بكرة أبيهم من الرجل الى المرأة الى الطفل الى الجنين في بطن امه لا يعرفون شيئاً سوى انهم خلقوا مسيحيين واما انهم يعرفون لماذا خلقوا هكذا وما هي قواعد دينهم ومن وضع هذا الدين وما هي فضائله وكلماته فلا يدركون شيئاً .

ولكن خل عنك أيها القارئ وانظر الى ما حولك فماذا ترى ! ألا ترى ان أول درس يلحق للطفل عند الغربيين واخواننا المسلمين يكون عن علة وجوده ومصدر حياته ألا ترى ان الاولين يعلمونه ان ينطقوا أولاً باسم الجلالة والسماء والخلقة والملائكة والنعيم والمسيح والكنيسة

والفداء وما شا كل ذلك ويعلمه الثانون ان ينطق بالبسملة والنبي
والصحابة والصوم والصلاة والزكاة فلا يكاد يعي ما حوله وينطلق لسانه
بالنطق حتى تراه واقفاً في الصباح وفي الظهر وفي المساء بين والديه
واخوته باسطاً يديه مصلياً بالكلمات القليلة التي تعلمها بخشوع وشعور تام بان
هذا واجب عليه يهتم بتقديسه اهتمامه بالبحث عن طعام يملأ به جوفه
فأين هذه التربية العالية من تربية ولدنا الذي نجده من يوم أن يولد الى
يوم ان يبلغ مبالغ الرجال لا يقم نظره على اجتماع عائلي للصلاة فلا والله
يعني بهذا الغرض ولا امه تفهم شيئاً من هذا القليل باعتقاد ان الصلاة
لا تجوز في غير الكنيسة فيشب وذهنه خال بالطبع من أمر الصلاة
وأمر الدين الذي استخف به وظن التمسك به سخافة والتبرؤ منه فخرا له
وعلماً على فضله وعامه .

نرى العائلة الافرنجية اذا جلست الى المائدة دفعت كلمات الشكر
لله على فضله كما نرى العائلة الاسلامية تتلو الفاتحة أما عائلتنا فلا تكفي
بعدم الصلاة بل يمد الولد يده الى الصفحة قبل والديه وكثيراً ما يغضب
ويأعن وينهر أمه اذا لم تملأ وعاء بطنه طعاماً حتى ينتفخ ويتكتظ ويتقيأ
وليس هذا النقص الديني قاصراً على الاطفال بل يشمل أعضاء
الاسرة الراشدين والبالغين أيضاً حتى قلما تجد زوجاً وزوجة يعرفان أن
يعبدا الله في بيتها فان وقع أحدهما أو بعض أفراد البيت في مرض لا
يفقهان ان عليهما ديناً لله يؤديانه صوماً أو صلاة أو نحوهما بل يستعيضان

عنهما بالعرفاة والتنجيم فقتلوا الوالدة أو عجوز الدار كلمات على رأس المريض أو تضع له حجاباً فوق رأسه يكون غالباً نصه :

« يا رغطيط يا رغطيط يا رغطيط لمق فنجل اقسمت عليكم يا خدام هذه الاسماء الروحانية ان تمنعوا الخابط أو الصداع أو الحمى عن (فلانة بنت فلان) أو (فلان ابن فلان) بحق اهي اشرا هيا ادونا ي الرب الصباوت الشداي »

اما اذا توقفت المرأة عن الحبل فتزور المتحف او بعض الاضرحة أو زوايا الاولياء أو كنائس القديسين . وأغرب من هذا اذا حلت كارثة أو توفي واحد فترام يتطيرون جداً ويذهبون الى ان الاسباب نعيق البومة فوق البيت او دخول كلب أسود (غطيس) يوم الوفاة . ولم يقتصر في التطير والتشاؤم على ما تقدم بل تراه يتطيرون من نباح الكلاب ومواء القطط ومن الاحلام ومن التوهم بحلول ارواح الموتى في البيت كما يعدون بعض أيام في السنة من أيام البؤس بل كثير ما يعطلون سفرهم في يوم من أيام الاسبوع لانه يوم شؤم في عرفهم . وقد يستوى الاقباط مع المسلمين في هذا التطير

وقبل ان ننقل من هذا الموضوع نلتفت قليلا الى نوع آخر من الخزعبلات وهو الاعتقاد باصابة العين حتى ليتوهموا أن كل ما يصيبهم من الامراض أو يلحقهم من الشر هو نتيجة تلك العين التي تصيب كل من تقابلها وهو اعتقاد غريب في بابه وكفران مبین بوجود قوة عاملة

في الكون غير القوة الالهية ثم الاعتقاد باليازجة وهي نوع من السحر الروحاني في عرفهم يطرد الاوراح النجسة من البيوت والاجساد ويوجد التآلف بين الافراد . حتى ان أكثر الذين تراهم يهزأون بالعرافة والتنجيم هم أشد الناس تمسكاً بها وانسياقاً الى التطير من غيرهم . وكم افنى الاقباط والمسلمون أموالاً في هذا السبيل وكم قضوا على هوائهم حتى أن جل النساء اذا رأين من أزواجهن تطرفاً أو كراهة أو نفوراً انقذن الى المنجمة والى المغربي الساحر ليكتب لهن أحجية تزيد تعلق الرجال بهن وتجعلن مسيطرات عليهم .

على أن غاية ما يرى من ظواهر الدين في العائلة أن النساء وربما العجائز منهن فقط يصمن عند ما يكون صوم ويفطرن عند ما يؤذن بالفطر ويأليتهن يدركن حكمة الصوم وعلة موضعه وما المقصود به واخص صفات الصائم انهن لا يعرفن شيئاً من ذلك على الاطلاق وانما الصوم عند الاقباط من نساء ورجال اصبح من العوائد المألوفة التي رسخت في نفوسهم ومنزجت بطباعهم حتى انهم لو صموا بالاقلاع عنها لما استطاعوا الى ذلك سبيل ودليلاً ذلك أن النساء مثلاً ينهضن ويحرصن على هذا الغرض لا يستقبحن أن يكذبن أو يحلفن أو ينطقن بهجر اللفظ وفحش القول ونحو هذا مما هو نقيض الصوم على خط مستقيم .

واذا ما اوضحنا هذه الحالة السيئة نقول انه يجب على المصلحين قبل

كل شيء أن يجمعوا وجهة اصلاحهم جعل الكتاب المقدس رائد
الوحيد مطالعته واجبة على الكبير والصغير من تلاميذ وتلميذات ابيه
وامهات كما يجب على رجال الاكليروس أن يزوروا منازل رعيهم
لاتارة العقول واتقاذها من بوائق الجهل كما يفعل رعاة الكاثوليك
والبروتستنت مع رعاياهم بل كما يفعل كهنة الوثنيين وعبداء الاوثان .

الدين في الكنيسة

المعنا الى أن الدين في العائلة واه واهن ذلك لانه يأخذ مصدره
من الكنيسة دون سواها ولا شك في أن الكنيسة أن لم تتغير في
الازمنة المختلفة لارتباطها شديد الارتباط بالكتاب المقدس وبالقوانين
الكنائسية المتعاقبة عليها من عهد مار مرقس الرسول الى اليوم الا انها
تغيرت تغيرا فعليا في أمتها والقائمين بخدمةها حتى انحطت اخيراً
بأنحطاطهم وتأخرت بجهلهم .

وقد لا نبالغ اذا قلنا من غير مبالاة انه لا معنى للدين في الكنيسة
اذا لم يكن شطرا من العائلة لان قواعد الدين الكنائسي ليست
كقواعد العادات التي رآها العالم قد تغيرت تغيرا يذكر في اصولها
وامهات مسائلها بل هي قواعد ثابتة دائرة على خطة واحدة متماسكة
من العهد القديم . ولئن جهل واحد ذلك فما عليه الا أن يوالي حضوره
يومية الى الكنيسة ليرى أن الصلاة لا تغير فيها بل هي فوق ذلك
محدودة بمحدود لا يمكن التصرف فيها وانما جهل الائمة بالواجبات

المفروضة عليهم وعدم فهم الشعب ما يتلى عليه جعل الدين واهنا في البيت وفي الكنيسة .

وليس معني ما تقدم في عدم فهم الشعب القواعد الكنائسية للصلاة انها مضلة وغير صالحة كلاً ؛ بل نقول بصراحة انها ثمرة افكار ائمة رجال الدين والرسل وقانون السيد المسيح نفسه وشريعته في كل جيل بل ومظهر الديانة المسيحية في كل عصر . وانما تلاوتها باللغة القبطية افقد المزايا التي كانت تـنـظـر فيها وجعلت فضائلها خافية على عقول السامعين .

ولقد يعجبني ما قاله الاستاذ بتلر الانكليزي في عرض كلامه على الكنيسة القبطية من أن نظامها يماز عن نظام الكنائس الاخرى شرفاً وعفة لتجرده عن كل ما يشين ويهين وانها اسمى الكنائس ولو انها وصلت الى درجة من الانحطاط يأسف عليها محبوها . وهذه المجاهرة من اوربي تدلنا على ان منشأ هذا الانحطاط هو ضعف غالب رجال الاكليروس وفتور الشعب في العبادة وتراخيه في اداء المفروض عليه نحو خاتمه وما يشاهده من جهل افراده باحوال عقيدتهم وعدم المامهم بشيء عن ترتيب كنيستهم القويمة الرأي وخلوهم من روح التقوى والمحبة المسيحية وما يبصره فيهم من الحرص الزائد والشح الممقوت وقبض ايديهم عن وجوه البر وحبس اموالهم عن مواضع الحسنات والصدقات وما يلاحظه على اولادهم واحداثهم من

مطاوعة الشهوات واتمام الرغائب الفاسدة والجري مع التقليد الاعمى والتعرض لتأثيرات المدنية الكاذبة وكل هذا اصاب الاقباط وعاد عليهم باقبح النتائج

هذا وقد مضى على الكنيسة القبطية ١٧ قرناً وبعد غلبة المسلمين واختلاط المصري بالعربي الناتج عنها اخذ التهذيب المصري والعوائد المصرية تمتد الى العالم العربي كما كانت اللغة القبطية بالغة من الاشتهار واتساع نطاق الانتشار مبلغ اللغة العربية اليوم حتى أن التكلم بها كان عاماً ثم الغيت سن دواوين الحكومة وبقيت قاصرة فقط على الكنائس وعلى الاقباط المسيحيين ثم اخذت في التلاشي شيئاً فشيئاً حتى لا اغالي اذا قلت ان عدد عارفيها لا يزيد عن الخمسمائة كلهم اكليروس وشمامسة . ومن الامور البديهة انه اذا كانت الصلاة بلغة لا يفهمها المصلون لا يكون منها فائدة مطلقاً ومع ذلك فهذه هي الحالة في كنائسنا التي نذهب اليها فلا نسمع منها الا الالفاظ والتراتيل القبطية التي لا تفهمها . نعم يقرأ فيها بعض فصول من الانجيل باللغة العربية ولكن الحق يقال أن الاحسن عدم صرف الوقت في قراءتها لانها محض مطالعة لا يسمعها ولا يفهمها كثير من الموجودين . ومن الذي يقرأ في الغالب صبي حديث السن أو رجل يحرف الالفاظ ولا يدري لها معنى . فمن الواجب والحالة هذه صرف الوقت في القاء المواعظ الادبية والتعليمات الروحية بلغتنا العربية التي لا نفهم غيرها .

نعم يقولون اننا نحن الجانون على انفسنا اذ قصرنا في تعلم اللغة القبطية فنرد عليهم بقولنا ان تعليمها لجميع أفراد الامة غير ميسور الآن بدليل ان نفس الذين يدرسون العلوم واللغات تقضي عليهم أحوالهم المعيشية بدمم الالتفات الى اللغة القبطية لكثرة اشغالهم وضيق اوقاتهم فبالهم بهذه الآلاف المؤلفة من الفلاحين وعامة الامة وكيف يستطيعون ادراكها. على أننا مهما أتعبنا أنفسنا في تعلمها لا يمكننا أن نتقنها أكثر من لغة آبائنا وأجدادنا. ومن البين ان هذه الاسباب هي وحدها التي حملت الكثيرين على التعاليم الغريبة فانشقوا عن الكنيسة وأزددروا طقوسها وترتيباتها وظنوها طلاء كاذبا سريع الزوال حتى ان كل ما نراه من الغيرة على صيانة حياة الامة من الانشقاق عن كنيتها لا يأتي بالفائدة المطلوبة ما دام الكهنة يلقون صلواتهم على أفراد ليس فيهم من يدري أو يفهم معنى ما يقولون.

والخلاصة ان الحالة الدينية في الكنيسة موجهة لليأس حقيقة ولكن الذنب ليس على الامة التي تحاول ان تنهض لتعرف طقوس دينها فلا تجدد عضداً يعضدها بل الذنب كل الذنب على الكهنة الذين جمعوا الدين طلاسماً لا تنفذ منها اشعة من الضوء لانارة القلوب والافهام

الدين في المدرسة

ان رأي الاستاذ الفونس اسكيروس في تعليم الدين في المدارس مخالف لرأيه في التعليم العملي على خط مستقيم حيث ذهب الى ان في

التعاليم الدينية أسراراً يتعاضى على عقل الانسان اكتناها واعمالا وعادات
لبس في مقدور احد من الناس تفسير شيء منها واحكاما لا تقبل العرض
على محاك النظر بل تقيّد بقوة الادراك الى الابد فلا تجد سبيلاً الى
الجلولان فيها. وهو مذهب لا يصح التعميل عليه أو الاخذ به لانه يفقد
الغاية من تقويم الاخلاق ويزيد بنية الهيئة الاجتماعية اغراقا في الاحاد
والكفران ومع ذلك فقد عاد فدحض رأيه هذا بقوله « الانجيل كله
مواعظ رائقة وامثال شائقة فليت شعري من ذا الذي لا يراعيها »

أما رأي روسو في تعليم الدين بالمدارس فكرأيه في تعليم الاشياء
الاخري أي أن يكون بالاستقراء والاستنتاج لا بالتلقين والاستتباع
وعن طريق القلب واللسان ويعنى بهذا الاستقراء أن التأمل في الوجود
بمعين الفكر ودراسة طبائع المخلوقات يبلغان الطالب الى معرفة الخالق عز
وجل وقد أيده الكثيرون في رأيه هذا و ضربوا له عدة أمثلة أذكر منها
أن الطفل اذا رأى القمح لا ينبت الا اذا بذرت الناس حبوبه يعلم كذلك
أن الانسان لم يخلق الا بواسطة قوة عظيمة هي الاله سبحانه وتعالى
ومع ذلك فقد دحض هذه الآراء لفيف من العلماء والمفكرين وبينهم
راسين العالم المشهور حيث اثبت أن تلقين الدين للاطفال يساعدهم كثيراً
على اجتياز متاعب الحياة ويرسخ في نفوسهم وصايا الله فتزرع من
قلوبهم تلك الحاسات الفاسدة التي تعكر مياه الحياة .

وفال العلامة شلمن الانكليزي اذا كان قلب الرجل يهتز لسماع

بعض المواعظ الانجيلية فكيف بقلب الطفل وانك لن تجد مقوما
للاطفال والتلاميذ في غير كتاب المسيح فيجب أن يكون أول الدروس التي
تلقن لهم حتى ينمي في نفوسهم الاخلاق الكريمة

على أن مجرد البحث في طريقة التعليم الديني في المدارس لا توصل
الى الغرض المقصود ان لم يكن المعلمون من اللاهوتيين المشهود لهم بطول
الباع وسعة الاطلاع ليتمكنوا من تركيز العقيدة في نفوس الطلبة .
اما والحال اليوم على ما نراه من تعيين افراد لا امام لهم به فحال أن
يأتي تدريسهم له بفائدة ما .

هذه مسألة يقف الانسان امامها حائرا مرتبكا ولا يعرف ان
كانت الصحف التي حملت على الحكومة تلك الحملة الشعواء حتى فازت
بامنيتها في تدريس الدين المسيحي بجانب الدين الاسلامي ستتمكن
من الفوز كذلك في جعل مدرسيه من ائمه ورجاله ام تقف على الحياض
مكتفية بما حصل ولو كان عديم الجدوى والنفع

ومن اللغو تخفيف امر التدريس الديني الى هذا الحد لان كثيرا
من المدرسين يرتكنون على المؤلفات الغريبة في تعليم الطلبة وهذه
تخالف القواعد الدينية التي نسير عليها . وانشاق الافراد الذين تعاموا
في المدرس الانجيلية والكاثوليكية من كنيستنا يدلنا على درجة
انتقاش تعاليمها في اذهانهم

ولا اظن الصحف والامة تجهل الاسباب التي قدمناها وفي وسعها من

اليوم أن تبحث هذه المسألة بحثاً مستفيضاً حتى تصون أبناءها من صرورات العقائد الغريبة وتنشئهم رجالاً كلمة مهذبين محافظين على حقائق دينهم وعقيدتهم الأصلية .

واختم هذه الكلمة بوصية روسو للمدارس قال ان فلسفة المتعطرس من الاساتذة تفضي بالطلبة الى الزندقة والشك في كل شيء كما أن تعليم الجاهل باصول الدين يورث التعصب للطلبة فيجب أن تجتنب المدارس امثالهما حتى لا يشب التلاميذ على اخلاق تناقض فضائل الدين . ثم اوصى المتعلمين بقوله تمسك ايها الطالب بالحق أو بما يوحي اليك قلبك الطاهر انه حق تمسكاً لا يثنيك عنه ضعف الارادة أو مجد الدنيا العاقل ولا يقعدك الجبن عن الاعتراف بوجود الخالق في مجالس المعطلين وحض قومك ونفسك على التسامح وحب بني الانسان على اختلاف الملل والنحل واعلم أن واجبك في هذه الحياة الدنيا قول الحق وعمل السالحات فاذا قمت به فزت بالسعادة ونلت الرحمة والرضوان .

آداب الصلاة

اذا سخر الغريبيون بأدبنا في المجتمعات العامة فيحق لهم الف مرة أن يحقروا تلك الآداب الساقطة التي نمثلها في معابد الله وأديرته . فقد جعلناها أشبه بالاسواق والمنازه لا تهرع اليها الا ليقابل بعضها بعضاً أو ليقص أحدنا على الآخر أحاديثه او لنسخر بالكهنة

والطقوس الدينية فوق ما يحصل في المواسم من ضوضاء الشبان
وضجيج النساء وصياح الاولاد وبكائهم حتى يضطر بعض الكهنة الى
تعطيل الصلاة ريثما يطمئن الحاضرون الى الهدوء ويضطر البعض الآخر
الى شتمهم وسبهم ليخمدوا الى السكينة وناهيك ما يحصل في الاديرة
وموالد الشهداء من التشويش والضجة المائلة وارتشاف الخمر وتمايل
السكران وزغردة النساء. فإني يا قوم هذا المخرج من السكون السائد في
معابد الافرنج ومساجد المسلمين وهياكل الوثنيين. ان المعابد
وجدت للصلاة. وجدت لطلب الرحمة من الله ليعفو عن الهفوات
والزلات وجدت ليدخلها الانسان خاشعا عابدا طاهر القلب والجسد.
ان الواحد منكم اذا دخل على رئيسه وهو انسان يماثله صورة وشكلا
وقف امامه صاغراً فما بالكم وأنتم تدخلون بيت الله وهو سيد
أسياد هذا الرئيس وخالقه لا تقومون له بذرة من الاحترام
والتكريم.

أنا لا أقول لكم اخشوا يوم العقاب بل أقول لكم فقط احتراموا
آمتكم وانفسكم امام الغير الناظر اليكم الساخر بكم الضاحك من سقوط
ادابكم. اظهروا ولو مرة في حياتكم انكم خالقون بالانسانية التي اتم
منها. ان الوثنيين خير منكم لانهم يعبدون آلهتهم بكل خشوع
واحترام أما أنتم فلا تقتصرون فقط على عدم عبادة الحكم العظيم بل
تحقرونه في بيته الذي تليق به القداسة

وأني انسان له من العقل زاجر ولا تأخذه الخيرة على ردع أخيه عن
اقتراف ما يغضب الله سبحانه وتعالى في بيته أليق أن تكون هذه
البيوت الطاهرة مجامع صفاء ومعاقرة خمر وأندية لهو وهل من
اخلاص النصيحة للاقباط أن يحضر رجال الدين وأئمة هذه المحافل
ويشاركوا الافراد في هواهم بين مأكل ومشرب وصفو وطرب
ولا ينهونهم عما يرتكبون . اليس من المقرر في كتب الدين وشرعية
المسيح أن هذا كله منهي عنه أو ليس الأحرى بهم أن يصلحوا ما افسدته
يد الايام وان ينصحوا الأمة بالاجتهاد في نبذ هذه العادات والمنكرات
في المواسم والاعياد وان يعلموها أداب الصلاة في الكنائس وفي كل
مكان ليعيشوا في نفوسها صفاء دونه هذا الصفاء ويجعلوا قلوبها
حاضرة الاحساس فلا تخرج من الكنيسة الا وقد امتلأت بنور
اليقين والاخلاص فتصير كاملة طاهرة قوية لا تنقاد للشهوات ولا تنزع
الا الى الخير ولا تركن الا الى الفضيلة

الوعظ والوعاظ

ان أهم مسألة حيوية يجب ان تشغل امتنا المحوطة من كل جانب
بشعوب شتى تسعى في تمزيقها وتشتيتها واخراجها من عقيدتها هي بلا
جدال مسألة الوعظ والارشاد لانها القوة الروحية العالية التي تنفذ الى
النفوس والقلوب فتنقذها من مهاوي السقوط في أودية المفساد
والشرور .

ولا شك ان تسرد الكاثوليك والبروتستنت علينا معشر الاقباط الارثوذكس ليس بقوة المال أو العلم بل بقوة الوعظ وورقي المرشدين الذين بثوا التربية الدينية الفضلى في انبائهم وعرفوا كيف يثبتونهم في دينهم ثبوتاً لا ترعزعه التعاليم الاخرى المخالفة لمبادئهم وعقائدهم . وما وصلت قوة المرشدين الدينيين الى هذا الحد الا لان الواعظ الذي يعظ اناس بآيات الله وكتابه المقدس انما هو صوت الله وروحه وقد قال تعالى « لستم اتم المتكلمين لكن روح ابيكم هو يتكلم فيكم » مت ١٢ : ١٠ بل الواعظ هو بوق الله الذي يصرخ به في الناس لينبئهم الى الفضيلة ويدعوهم الى الحياة بل هو فم الله الذي يلقي منه مبادئه العالية على بني آم ليرفعهم الى ذروة الطهارة وقيمة الكمال وقد قال تعالى « ان ميزت الجيد من الردي كنت مثل في » ار ١٥ : ١٩ . وحقا كما أن اللسان وسيلة الانسان للنطق والحواس للشعور كذلك الواعظ وسيلة الله سبحانه وتعالى لخلاص النفوس من أسر الخطايا والذنوب ومحو عواطف الشر من قلوب الاشرار ليحيي مكانها عاطفة الخير والصلاح وهذا بولس الرسول يقول نحن انصار الله كو ٣ : ٩ فقوة الوعظ والحالة هذه تفوق كل عمل آخر في بيعة الله ليس فقط لانها الطريق الوحيد الموصل الى اكتساب الفضائل الالهية وكرامة الابدية بل لانها تحمي الشعب من هجمات أعداء بيعة الله وتقف امامهم مناضلا قويا واذا نظرنا الى أعمال الرسل والشهداء نرى انه لولا الوعظ

لما انتشرت المسيحية ولما كان المؤمن مؤمناً والشهيد شهيداً بل لولاه
لما كان الخاطيء تائباً والبخيل محسناً والجاهل عالماً
واذا ما اتضح من وجيز الكلام الذي قدمناه ان الواعظ امين
المسيح ورسوله على هذه الارض فبأي حق ام باية شريعة تهمله كنائسنا
التي هي محط الدين ومقره ولماذا تحسبه من سقط المتاع بل لماذا لا تختار
لهذه الوظيفة السامية من هم كفؤ لها حتى لا يهبطوا بها الى احط الدرجات
وحتى لا يعميتوا العواطف الخيرية في نفوس الامة

ان من العار العظيم ان ينحط الوعظ بيننا الى هذه المكانة التي
لا يرضاها لنا العدو بل ومن الاثم والكفر ان تخلو كنائسنا من وعاظ
راقين في العلوم الدينية واللاهوتية والأخلاقية ليستطيعوا بقوتهم جذب
النفوس الى مكارم الاخلاق واخراجها من الظلمة الى النور ومن التعاسة
الى السعادة

ويا طالما رأي ائمة ديننا ابناءهم يتركون كنائسهم خالية خاوية على
عروشها ويذهبون الى كنائس أخرى لسماع الوعظ والتبشير او لالتقاء
اليها ولكنهم لا يحركون جانباً وان دبّت في بعضهم الغيرة الملية القى
عظة أو خطبة تزهق النفوس لما اشتملت عليه من المعاني الغريبة التي
تحيل الصفات الحميدة الى اضدادها ثم يكررها في كل يوم حتى تصير
مألوفة ويبطل مفعولها يتجردها من قوتها الاصلية الرادعة. على
ان في الدين من الايات المهدبة للنفوس المرقية للعواطف المثقفة

فول ما يكفي لان يزيل كل امراضنا الاجتماعية والجسدية ويجعلنا أمة
الحقة للعمل وللحياة

نعم ان بيننا ثلاثة أو اربعة من الوعاظ المشهود لهم بالفضل ولكن
إلا لو حلت فيهم الروح ونزل عليهم الوحي لما استطاعوا أن يعظوا
بنائاً سن النفوس متفرقا في الوف من البلاد والقرى فيجب على الامة
أرادت المحافظة على عقيدتها ان تتضافر على تحسين حالة لوعظ
لوعاظ بترقية مدارسهم وتنظيمها حتى تخرج لنا مئات من المرشدين
دون المنشقين الي كنيستهم ويؤهلون الباقين الى صيانة عقيدتهم التي
تهم من العبث كل هذه القرون والاجيال

الكليروس

اذا قالوا ان الكليروس هم حفاظ الشريعة ورؤساء الكنيسة
ثمها الذين يؤخذ عنهم العلم مشفوعا بالنصائح مقرونًا بالشعائر الدينية
تا أقول لكم انهم أصبحوا في جيلنا الحاضر على خلاف ما تعتقدون
يث وضع غالبيهم الدرهم والدينار موضع الالة وأنفسهم موضع الملائكة
نوانينهم مكان الكتب المقدسة وكلمتهم منزلة الرسل . تلك هي قواعدهم
نذتها من كتاب اعمالهم فلا يستطيعون حجودها ولا يستطيع أحد
كابرتي فيها لانها ناطقة بأفصح لسان انهم ماديون في كل شيء في العمل
لحياة . في الدين والكنيسة . في الدير والصلاة

وواضح ان رجال هذا الفريق الغالب وكثير ما هم يتصرفون

تصرفاً شائناً لا يتصرفه الامم من العامة ويتحكمون في تقاضي الرسوم الخاصة بالصلاة على الموتى أو المتعلقة بعقد الزيجة بعد أن جعلوها درجات يابها الدين وتنفر منها شريعة السيد المسيح. ولقد تجدن أعفهم وأتقاهم يهرع الى منزل المتوفي أو المتزوج أو المريض من الاغنياء بلادعوة ولا التماس لان ماله شفيع لديهم مكبر لمقامه في عيونهم. أما ذلك الفقير المسكين الذي يامر رب الشريعة بمواساته فهيئات هيئات أن ينزلوا عن عرش ملكوتهم الارضي ليصلوا على بختته أوليعقدوا اكليله أو ليزوروه في أوقات همه وكروبه ان لم يقدم لهم الرسوم والهدايا التي يطلبونها مقدما وقبل أن يلجوا عتبة بيته وكثيرا ما يتوقفون عن الصلاة واقامة القداديس ويضطرون أهل المتوفي او المتزوج الى الاقتراض لسد نفقتهم ان لم يدفعوهم وهو الغالب الى ترك عقيدتهم الاصلية واعتناق المذاهب الاخرى التي يتولى خدمتها أئمة أتقياء لا يميزون غنياً على فقير ولا يفضلون بين الكبير والصغير لئلا يخالفوا مبدءاً وظائفهم وشرف مهنتهم ويدعوا الناس الى الخط من كرامتهم والله الى التنكيل بهم وقد قال تعالى « الرعاة الذين يبطلون كلمة الله ويسبثون الى قطيع المسيح لا بد أن يروا أنفسهم هدا فالوعيد مت ١٨ : ٦ »

ورغمًا من شكوى الشعب المستمرة من بعض رجال الاكليروس لم نر من رؤسائهم ما يردعهم عن تصرفهم وتحكمهم مع ان الرسول بولس يوصي تيموثاوس أن يوجب اجراء التأديب بين رجال الاكليروس

٥ : ١ و ١٩ و ٢٠ و ٦ : ٣ و ١٥ . وهذه الآية واضحة كل الوضوح
فلا حاجة الى شرحها أو تقديم البرهان عليها

نعم انهم يريدون أنفسهم عند تحكمهم في تقاضي الرسوم أو عند
مخالفتهم لمبادئ الشريعة والدين بأنهم لا يتقاضون رواتب تقوم بحاجياتهم
الحوية ولكن هل الشعب هو المألوم على عدم تعيين تلك الرواتب
اللهم كلا : ان المألوم هم أولئك الرؤساء الذين يعيشون عيشة الترف
والنعيم ويبدلون الاموال في غير السبل التي وضعت لها ويضنون على
أخوانهم الكهنة بشيء مما يتنعمون حتى يضطروهم الى تشييل أعناق
الشعب المسكين بالمطالب غير الشرعية والى مخالفة واجباتهم الكهنوتية
مخالفة تستوجب غضب الله وقد قال سبحانه وتعالى في الاصحاح ٢٤
من سفر حزقيال « ويل لرعاة اسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم .
ألا يرعى الرعاة الغنم . تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون
السمن ولا ترعون الغنم . المريض لا تقووه والمجروح لم تعصبوه
والمكسور لم تجبروه والمطروود لم تستردوه والضال لم تطلبوه بل بشدة
وعنف تسلطتم عليهم فتشتت بلا راع وصارت مأكلا لجميع وحوش
الحقل وتشتتت »

وان هذه الاقوال الالهية وغيرها مما تملأ صفحات الانجيل لصوت
يصم آذان أولئك الرعاة ويثير عواطفهم في صدورهم ويعلمهم انهم يجنون
على أنفسهم وعلى أمتهم وعلى دينهم وعلى الله

وليس هذا فقط خطأهم العظيم بل جعلوا وظيفتهم ارثية في عيالهم فلا يكاد قس يموت حتى يتقلد ولده رتبته ويتسيطر على الكنيسة والشعب وهو جاهل بفروض الدين جهلا يدفعه الى انتهاك حرمة واجباته المقدسة وشرف مقامه فيشتت أبناء الرعية ويقضي على جامعهم في لحظة وسلاوا أبناء القرى والبلاد فكم عانوا من أمثال أولئك الكهنة وكم نالهم من الويلات بسببهم وسبب جشعهم وتمييزهم بين الغني والفقير واهانتهم لليتيم والارملة والشيخ حتى أزممت العلة وفاز الدرهم وساد وتغلب في الالوهية على الخالق

وأنا لا اسلم قطعياً بأن للقس رسوماً أو احسانات يجب أن يتناولها من الشعب وخصوصاً من الفقراء لان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صغارهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الفقير والارملة والبائسين فهل قام سادتنا الآباء بشيء من تعاليمه وهم رسله ووكلاؤه
كلا كلا :

قال لهم « من سل سيف البغي قتل به » فهل ردعت هذه الكلمات من بيدهم قضايا الاحوال الشخصية منهم عن انتهاك حرمة القانون ونصرة الظالم على المظلوم . أقول أيضاً كلا :

قال لهم « من أخذ قميصك فأعطه رداءك » فهل أحد منهم اتبع هذا الامر وجرى على نصوصه خصوصاً في مسائل الوراثة وغيرها : كلا ؟
قال لهم « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فهل رأيت الفقراء

واليتامى والمحتاجين قد نالوا شيئاً مما لهم ومن ربيع ما أوقف عليهم من العقار والاراضي : كلا كلا ؟

قال لهم « وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لان معلمكم واحد هو المسيح وأنتم جميع اخوة » فهل هدم هذا القول من أنفسهم دعائم الاستعباد وأبعدهم عن التسلط . كلا ؟ وليت شعري أني للشعب أن يأخذ بزمام عزيمته الى الخير وأن تترقى شعوره الى الكمال اذا كان جل رعايته ممن يخالفون النواميس الدينية ويغالطون في فهم نصوصها تخلصاً من قضائها عليهم وفراراً من عواقب الاخذ بصريحها

واني وان كنت اجل السادة الالباء عن لزوم تعريفهم بواجباتهم واجل العف الصالح منهم جزاء تقواهم وورعهم الا اني أرى الامة مفتقرة شديد الافتقار الى أئمة دينيين متعلمين صالحين يكرنون مثلاً حسناً يقتدي بهم في الكمالات والفضائل ومؤمنين ايماناً صحيحاً ليكونوا مخلصين في تأدية الخدمة الكهنوتية وذوي قدرة على رعاية الشعب ووعظه . وهذا لا يكون الا اذا ابطلت الوراثة الكهنوتية ونظمت المدارس الاكليريكية في المدن والاديرة وادخلت اليها العلوم الحديثة لتخرج لنا أئمة يعملون بمقتضى شريعة الله ويعيشون بموجب القوانين الكنائسية لاجراء الحق والعدل بين الناس

*
* *

وعلى ذكر الاكليروس نشر الجدول الآتي بعدد الكنائس

والكهنة والاديرة الموجودة في أنحاء القطر

أسماء الجهات	عدد الكنائس	عدد الاديرة	عدد الكهنة
القاهرة	٢٣	١١	٣٤
الاسكندرية	٢	٠٠	٢
الوجه البحري	١١٤	٤	١٥٢
الوجه القبلي	٣٣١	٧٥	٧٢٢
المجموع	٤٧٠	٩١	٩٢٠

الرهنة والاديرة

ان منبت الرهنة في الكنيسة القبطية يرجع الى القرن الثالث للميلاد حيث ظهر مار انطونيوس ومار آمون اللذان كانا على جانب عظيم من الغيرة الدينية والتقوى والورع وانكار اللذات . وقد لقب اولهما بمشترع الرهنة رابي الرهبان لانه رسم لهم طريقة مخصوصة من العيشة تحت قوانين نظامية . وبعد ان تأيدت مبادئه في نفوس الكثيرين أسس باخوميوس احد تلاميذه ديرا في سنة ٤٣٠ ميلادية وهو أول دير بني بين المسيحيين جميعاً وكان اشبه بجامعة كبرى حيث كان عدد رهبانه ٧٣٠٠ شخص ومن ثم امتدت الرهنة الى فلسطين فسوريا بواسطة ابلاريون احد تلاميذ انطونيوس ومنها وصلت الى رومية والكنائس الغربية .

أما مارآمون فقد انصرف الى وادي النظرون مع كثيرين من اصحاب الميل الى الانفراد والتبتس وبينهم مكاريوس الشهير وأخذ يعظ بينهم وبين رعاة القطعان ولم يمض على هذه الحال ٨٠ حولا حتى اصبح هذا الوادي يحتوي على ٥٠ ديرا أو تزيد كما ذكر روفينوس المؤرخ قال الله تعالى ومن لم يطق العزوبة فليتزوج وهو قول حق واضح فان من راجع المؤلفات الطبية وتواريخ المتبتلين القدماء عرف فعلا صعوبة الرهبنة التي يستسهلها الكثيرون اليوم خصوصا اولئك الذين تضيق بهم فسحة العيش فيزجون بانفسهم فيها عن غير ترو كما يقبلهم رؤساء الاديرة غالبا بلا بحث في اخلاقهم ولا في اسباب تبتلهم . وان هذه الاباحة المطلقة جعلت جل رهباننا من الذين لم تصادفهم قدرة على العمل أو استعدادا للكدح فاستسلموا للتواكل واعتقدوا أن الانفراد عن الدنيا وعن الجد والاجتهاد خير وابقى . ولكن ليس هذا الانفراد والتواكل هما الدين الحقيقي المطلوب من الراهب بدليل أن الكسول ليس تقيا وقد امرنا الله أن نتعب ونعمل وهذه اول كلماته تعالى الى آدم « بعرق جبينك تأكل خبزك »

ثم ان فم الذهب يقاوم صريحا الزعم بان الاكليروس ملزمون على نوع خصوصي بحفظ البتولية وكذلك اكليمنضس الاسكندري حتى أن اكثر المجامع حتمت اخراج كل اكليريكي يعتزل عن الزواج من وظيفته الا مجمع القسطنطينية الذي عقد في سنة ٦٩٣ وحضر فيه

بطاركة الشرق واكثر من ٢٠٠ اسقف من الكنائس الشرقية فقد اذن للكهنة بالزواج ومنع الاساقفة والمطارنة ولكن اقرال الانجيل تخالف قرار هذا المجمع فقد قال بولس الرسول يجب أن يكن الاسقف بلا لوم بعلى امرأة واحدة اتي ٤ : ٣ وقال في مكان آخر ان كان بلا لوم بعلى امرأة واحدة تي ١ : ٦ وقال الله تعالى ليكن الزواج مكرما عند كل واحد عب ١٣ : ٤ فليت شعري كيف استطاعوا مع وجود هذه النصوص الصريحة الواضحة أن يحكموا على الاساقفة والمطارنة بعدم الزواج ويلزمهم بذلك الزاما اجباريا في حين أن التبتل متى كان اضطراريا كان مصدرا ينبع منه شرور كثيرة لا تعد ولا تحصى نعم ان بعضهم يذهب الى أن بلوغ الفضيلة لا يتأتى الا بالنسك والعبادة والزهد في الشؤون الحوية وحفظ النفس من الادناس بالعزلة عن الناس وهجر مجالسهم ومجتمعاتهم لانها محط الرذيلة ومقر الشرور غير أن جماعة المفكرين ذهبوا الى أن الايمان وحده لا يبرر الانسان وان المكارم لا تكتسب بسكني الصوامع وان فضيلة الخير ليست بالامر الشارد في البيد وبلاقع الارض ولكنها تقيم حيث تكون بمجتمعات الانسان ولا سبيل اليها الا الخلطة ولا مظهر لها الا المعاملة والمحبة خاصة التي هي وحدها الدعامة التي تشيد فوقها هذه الفضيلة وقد قال بولس الرسول في رسالته الى اهل كورنثوس مقر الفلسفة الافلاطونية الجديدة في ذلك العهد « أن كنت اتكلم بالسنة الناس والملائكة

ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجا يرن وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى انقل الجبال وليس لي محبة فلست شيئاً وإن اطعمت كل أهواي وإن سلمت جسدي حتى احترق ولكن ليس لي محبة فلا انتفع بشيء . المحبة تتأني وترفق . المحبة لا تحسد المحبة لا تتفاخر ولا تنفخ ولا تقبح ولا تطالب ما لنفسها ولا تحقد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء»

واقائل يقول إن انماء هذه العاطفة في النفس ليست بالأمر الهين لاسيما في مجتمع بشري اختلفت فيه الغايات وبسطت الاثرة عليه جناحيها فجوابا على ذلك نقول أن الطفل أو اليافع اذا غرست في نفسه فضائل الدين وتدرّب على الفضيلة وقام في نفسه حب النوع ومال الى الاحسان نمت فيه مائة الفضيلة كلما أولى غيره احسانا واسداه معروفا وقد قال روسو «كما أن الانسان لا يكون صادقا الا اذا اعتاد منطقته قول الحق ولسانه الاخبار بالواقع ولا جواداً كريماً الا اذا مارس البذل والعطاء فكذلك لا يكون الانسان صالحا الا اذا عمل الصالحات فالعمل هو المشيد لجميع الاخلاق والمساكن وهو الذي يصوغ الطباع في القوالب التي تظهر صورها للناس وعليه يجب أن يكون الانسان الراقى في وسط الناس ليقوم بالواجب عليه نحوهم» وقال أكليمندس الاسكندري ان الذين طرحوا خيراتهم الدنيوية عنهم كانوا مملوئين عجا وتكبرا واحتقارا

الآخرين « فكيف بعد ذلك تمّو في نفوسهم فضيلة حب الخير وحب
الاحسان وحب النوع الانساني ؟ »

أما من جهة ان كثيرين من المعتزلين أدركوا أسى شهرة ونالوا
أعظم مجد ونبع منهم العالم والحكيم والطبيب والفيلسوف والمتشرع
والمحسن فذلك لانهم كانوا أكثر ارتباطاً وأحكم اتصالاً بالشعب حتى
انهم كانوا يخرجون من أديرتهم في أوقات الاضطهاد وأزمنة الظلم ويختلطون
بالناس لتخفيف متاعبهم وتثيتهم في عقيدتهم علما منهم ان الغرض من
التبذل تحويل ثمره سعيهم للخدمة العمومية دون خصوصيات أنفسهم أما
اليوم فقد قضت الرهينة على ناذريها وطلابها بالعزلة التامة عن الناس
فضلا عن تضيق أوقاتهم بما لا يفيد ولا ينفع مما أوجد فيهم محبة الذات
الى درجة أصبحت الامة معها تبئن من ساطتهم وسيطرتهم . وقد لا أقصد
شخصاً معيناً بالذات بل أقول عن الجميع وكلامهم ليسوا على شيء من العلم
وان كانت تقضى حياتهم بالتعبد والتقشف

ولئن ثبت من أقوالي الميل لمحو الرهينة فهذا الميل وحده قد
لا يتم الا باصلاح الاديرة وجعلها مدارس لاهوتية كبرى يتخرج منها
رجال الاكليروس اللازمين للكنائس . وهذا الاصلاح لا يستدعي
تعباً ولا يتطلب مالا انما فقط يستوجب تنفيذ القانون الذي وضعه
نيافة الانبا يوانس مطران الاسكندرية لمدرسة الثغر التي أسسها في سنة

١٨٩٩ ومؤداه (١)

أولاً — يجب أن يكون الراهب معروفاً بالادب والتعقل والوجاهة
وأن لا يزيد عمره عن ٣٠ عاماً ولا ينقص عن ٢٥

ثانياً — جعل التدريس شاملاً للغات (القبطية) والعربية
والانكليزية وعلم الدين والفلسفة بفروعها واللاهوت الرعوي ونظام
الكنيسة وعلم التفسير والخطابة والتاريخ المقدس والتاريخ الكنائسي
والتاريخ العام المصري مع ملخص تواريخ الأمم الحديثة والقديمة والجغرافيا
والحساب والالخان الكنائسية وشرائعها المتعلقة بالاحوال الشخصية
وعلم الميراث والخطوط مع انشاء مكتبة للرهبان يقضون فيها أوقات عطلتهم
ولا ريب ان قانوناً كهذا لو اتبع في الدير كما هو لرفع شأن
الرهبان ورجال الاكليروس والوعاظ ولا عاد الى الامة مجدها الزائل
والى الدير عمرانها القديم. ولكن اين القول من العمل ؟؟

عدد الرهبان

ليس غرضي هنا أن أشرح الاضرار التي لحقها تناقص عدد الرهبان
السريع من الدير سنة بعد أخرى كما يستدل من الجدول الآتي ولا
أريد أن أصف علاجها بعد أن قلت أن علاجها الوحيد الناجح هو جعلها
مدارس لاهوتية وانما أردت أن أطبق تلك القاعدة المطردة قاعدة
« التناقص السريع » على ما ذهبت اليه من انها أصبحت فقط تكايا

(١) أصبحت هذه المدرسة اسماً على غير مسمى

للكسالى والمعطلين لا معاهد لتنوير الازهار وتطهير القلوب من الادران
ويسرني اعتبار هذا التناقص الى درجة الثلاثي والانقراض
خيراً محضاً لاني لا أكاد أصدق ان أديرة ينتج منها كل انحطاط وجود
يبقى فيها متسع لشيء من الخير ولا أحسب ان في ما أجمع الناس على انه
خير محض عملاً نستطيع أن نبني منه فوق ما سننجيه من خلوه هذه الديره .
وهكذا سيأتي بعد عدة أجيال مؤرخ منصف يقول « ان الديره
الفبطية خلت في أوائل القرن العشرين من سكانها وأغنت الامة عن
كثير مما كان يعوزها من مساعي أبنائها ونصائح أصدقائها في تخليصها
من ذلك الرسن الذي كانت تقتاد به الى الدمار »

سنة	سنة	سنة	سنة	أسماء الديره
١٩١٠	١٩٠٠	١٨٩٠	١٨٧٠	
٣٨	١١٠	٢٣٠	٢٠٠	ابنا انطونيوس
٢١	٨٨	١٥٩	٢٣١	البراموس
١٨	٣٣	٩٥	١١٠	السريان
٢١	٥٠	١١٥	٨١	أبو مقار
١٦	٢٢	٣٠	٤٥	ابنا بشاي
٤	٤٥	٥٠	١٥٠	ابنا بولا
٣٥	٨٥	١٠٣	١٩٠	المحرق
١٨٩	٤٣٣	٧٨٢	١٠٠٣	المجموع

المزارات والبدع

اصبحت الكنائس القديمة كالأثار تقصد للفرجه والزيارة
لا للصلاة والعبادة حتى بدا في القوم افراط في التعبد لكل وهم وخيال
فاعتقد البعض أن العصبي تحتله روح نجسة أو شيطان مريد لا يخرج
منه الا اذا نام في هيكل من الهياكل فيطرفه القديس بذيله أو بيده
واعتقد البعض الآخر أن الامراض المعضلة تشفى حالا اذا انتقل
المريض بسريره الى احدى كنائس الشهداء ليمسه خيال الشهيد فيشفيه
لساعته ويالله !

واغرب من كل هذا وذاك ما تراه من تهافت ابناء الشعب عالمهم
قبل جاهلهم على تعليق الحبال والاربطة والمناديل في اطارات صور
القديسين في الكنائس على اعتقاد منهم أنها اقوى العلاجات لدفع
المصائب وازالة العثرات وتفريج الضيق واعلان الامور المستقبلية وناهيك
بتمسحهم في الصور وتقبيلهم لها تقبيلاً متواصلاً يكاد يحو ما عليها من
الالوان .

ومعلوم ان السواد الاعظم من الكهنة ارتأوا أن مصالحتهم
تطلب بقاء الشعب معتقداً بالخرافات والبدع لما ينالهم من النذور التي
يقدمها المعطلون والمتواكلون فاستأنسوا بضعف عقولهم واستهووهم
بتقويتها في أذهانهم حتى استفحل الامر واصبح ما كان يستعمل للضرورة
مباحاً غير محظور ثم فشا فصار عقيدة مقبولة وهكذا حتى دخل في

الدين ما ليس فيه واصبح ما يروج في اسواق العامة وافكارهم يروج في اسواق الكنيسة .

وليت الامر وقف عند هذا الحد بل انهم تطرفوا في عبادة الصور وتوقيرها الى حد جعلوا المسيحية نوعا من الوثنية لانه اذا كانت الصور اشارات كما يقولون الى بعض مناظر واعمال ماثلة في الكتاب المقدس وكان المقصود منها انما هو تعليم الذين لا يعرفون القراءة والكتابة مالا يقدرون على تحصيله من الكتاب والكنيسة فما بالهم قد تركوا العامة وما والايم من القوم يتعبدون لها ويتبركون بها ويركعون امامها ويقدمون لها البخور ويوقدون امامها الشموع وينتظرون منها عمل العجائب وايمان المدهشات والغرائب

قال يوحنا في الذهب « علم النفس أن تصور ثوبا نظير ثوب المسيح لانها تقدر أن تصور ذلك اذا ارادت ولكن كيف يمكن ذلك وبأي الالوان أو المواد ليس بشيء من الالوان والمواد ولكن بالفضيلة والوداعة والتواضع فقط »

واذا ما انتهينا من هذه النقطة رأينا مسألة أخرى اعظم وهي مسألة توقير ذخائر الشهداء وعبادتها بالرغم من عدم وجود دليل واحد في الكتاب المقدس يسمح بها لاسيما وان الادلة واهية على اثبات أن هذه الذخائر من بقايا الشهداء حقا . زد على ذلك أن هذا التوقير عادة ماثية انتقلت من هياكل اجدادنا الى هياكلنا كما صرح بذلك

فيجيلتوس في القرن الخامس للميلاد . نعم أن اوسايوس اشار بالتمسك بها على امل أن تجعل الوثنيين أكثر ميلا الى المسيحية ولكن في هذا العصر الذي فيه بدأت الوثنية فليس تمت دواعي بقائها وتوقيعها الى حد العبادة .

هذا وقد اختلف الباحثون في منشأ هذه البدع فذكروا أسبابا كثيرة كلها فروع ترجع الى أصل واحد وهو الانحراف عن جادة الكتاب المقدس وشريعة السيد المسيح وتامس الهدى من غيرهما . صحيح ان كل الديانات معرضة لمثل هذه البدع ولكن لا تفقد حكماء ذوي عزم ونشاط ينهون عنها وليس لنا من حكماء نشده اليوم الا الدار البطريركية عليها تشدد النكير على رعاتها بتنبيه الشعب الى ترك ما يخالف دينه وعقيدته لتنتفي من أذهانه الخرافات فينهض من كبوته بعد طول الجمود والانحطاط

المجلس الملى

في مثل هذا العام من القرن الماضي منح محمد علي باشا الاقباط الحق في أن يديروا بانفسهم وبالاشتراك مع رجال الاكليروس احوال اديرتهم وكنائسهم ومدارسهم فصار الشب مع الكهنة والاساقفة والبطاركة يدأ بيد حتى حلت سنة ١٨٧٣ فعرض المرحوم الانبا مرقس مطران البحيرة على اسماعيل باشا الخديوي الاسبق طلب تشكيل مجلس ملى من ابناء الامة يتحد مع البطريرك ورجاله في نظر وادارة

الاقواف فاجيب الى ما طلب وصدر الامر العالي في تلك السنة بانتخاب ١٢ عضوا لهذا المجلس و١٢ نائباً ولكنه ما لبث زمناً طويلاً حتى وقعت بين اعضائه وغبطة البطريرك الحالي مناقشات ومقاومات أدت الى حله وتعطيله

وفي عام ١٨٨٣ شعر المرحوم المغفور له بطرس باشا عالي بما يصيب امته من الانحطاط والتأخر بتبديد اموال اوقافها فاستصدر امرا عاليا في ١٤ نوفمبر من تلك السنة باعادة المجلس الملي فاعترض البطريرك على تشكيله اولاً ثم اضطر الى الاذعان ثانية والف المجلس في يوم الخميس ٢٢ مارس سنة ١٨٨٤ بعد أن اظهر غبطته ميوله الى تحقيق رغبة الامة وقد التقى المرحوم بطرس باشا خطبة عند تأليف هذا المجلس قال فيها ما مؤداه .

« انه بتوفيق العزيز ورعاية مولانا الخديوى وعناية رئيس مجلس النظر ورضى وبركة الاب البطريرك اجتمعنا اليوم لانتخاب ارباب المجلس الذي انعقد تحت رئاسته للمعاونة على النظر في مهام الطائفة وفي ما يوجب تقدم شؤونها فلترك التباغض والتنافر ونخلص ضمائراً ولا ننتخب الا المشهود لهم بالفضل والحكمة حتى نحصل من اولى الحزم والمعرفة والذمة على الفائدة المقصودة ثم استشهد عن ضرورة انتخاب اللائقين بما ورد في اخبار الرسل عن انتخاب السبعة شمامسة لسياسة امور الارامل ص ٦ وبما جاء في سفر الامثال عن ضرورة

المشورة وفوائدها ص ١١ وص ١٥ قال ولنعلم انا كلنا اعضاء بيت واحد ويلزم أن تكون غاية الجميع عمرانه وتشيدده فلتتحد ولنكن يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد لنصل الى الغاية فبالاتحاد والتعاون يؤمل النجاح وبالمثابرة والثبات نصل بمشيئة الله الى ذروة التقدم وقمة الفلاح والنجاح»

وهذه الكلمات التي نطق بها عميد الامة وعظيمها والمملوءة حكما كانت تكفي لأن تسير بالامة الى الرقي وذرورة النجاح ولكن ابنت العراقيل التي تقف دواما في وجوه المصلحين أن تتركها وتتركهم فاخذ البطريك يناوي المجلس والمجلس يناوئته حتى بات شبيها بالمنحل وما جاءت سنة ١٨٩٨ حتى اشتد مقت البطريك للاعضاء فكتب بلاغا للمحافظة بمنع اجتماعه بالقوة وبعد مناوشات طويلة اقر راي الامة على رفع يده من شؤونها فصدر الامر العالمي بذلك في ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٣ فاصر غبطته على عدم الطاعة فصدر امر عال في اول ستمبر من تلك السنة بنفيه الى دير البراموس فذهب اليه ثم اعيد منه وضمت اليه لجنة بدل المجلس المالي لبثت تشتغل معه حتى سنة ١٩٠٥ حيث هبت الامة من كل جانب تطالب اعادة تأليف المجلس المالي وتنفيذ لأئحة سنة ١٨٨٣ للنظر في الخلال الواقع في المدارس والاقواف واحوال الفقراء فاشار اللورد كرومر بناء على ارشاد المرحوم بطرس باشا بوجوب تأليف المجلس فألف في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٥ الا انه لم يستمر في عمله طويلا

حتى وقعت مناوشات عنيفة بينه وبين البطريك أدت مع الاسف الى حله ورجوع القديم الى قدمه بتسليم الاوقاف الواسعة الى ايدي الرهبان يتصرفون فيها كما يشاؤون وشاء لهم الهوى .

وان هذا التسليم الاكراهي لعبرة للمعتبرين . وهو وان لم يكن الاول في بابہ الا انه احدى الامور التي يجب أن تهيج في الامة عاطفة الغيرة على مصالحها والعمل لصيانة اوقافها من طريقها .

وان وجه العبرة أن يتسلط فريق من الاكليروس على مصالح حيوية تخص امة كبيرة وهي بمعزل عمايجرى لا حظ لها من الاشتراك والعمل ومعرفة ابواب الانفاق .

ولا جرم أن هذا الحال كما يستدعي الاعتبار يستدعي التأمل في المخرج منه ايضاً فان المليون من النفوس القائم على بقعة واسعة من الارض باسم شعب من الشعوب وله شخصية عامة كشخصية كل شعب في العالم لا يصح أن تداس كرامته ولا يعقل أن يسكت على هذه الالهاته التي اصابته في اعز شيء لديه وهو الحياة والمال والشرف . خصوصاً اذا التى بنظرة على الطوائف المحيطة به ورأي لكل منها مجلساً ملياً ينظر في احوالها وتقدمها . وهذه طائفة اليونان مع أن عددها لا يزيد على مائة الف نسمة في هذا القطر وليس لها من الاوقاف ما يوازي املاك دير واحد من ديورنا ولا فيها من الفقراء ما يوازي واحداً في الالف من فقرائنا لا يذهب فيها درهم ولا يفصل في مسألة من مسائلها المالية الا بعد اخذ

رأي مجلسها واقراءه عليها . فهل يصح أن يكون حظ الاقباط بازاء اكبر شيء يخص وجودهم تمثيل دور القاصر الذي لا يستطيع القيام بأمر من اموره .

لا يصح ذلك ولن يصح ولكن من المألوم في مثل هذا الشأن البطريك ام الإمة ام كلاهما معاً :

المألوم الإمة وحدها لاني لا استطيع أن لا ارى مبلغ قوة الارادة الكامنة في مليون من النفوس فاعتبرها كمية مهمة لا تريد الا اذا منحت أن تريد ولا تأبى الا اذا سيقنت لأن تأبى

ان مظهر الشعور الذي أراه منها في هذه الاحوال يستدعي الاسف لا من حيث انها ملازمة فقط للسكون وعدم المطالبة بتأليف المجلس ولكن لان الضعف الذي تظهره في اختيار نوابها لا يوازي مبلغ الشعور القومي الذي تتأثر به عند التحرك والقيام بمطالبة حقوقها الممنوحة لها بأوامر عالية مع انه على حسن اختيار أولئك النواب وانتخابهم من أهل الفضل يكون استمرار المجلس وبقاؤه عاملاً حيث يستطيع جمع القلوب اليه والتأثير على الأذهان بقوته وبمقابله العناد بالعلم والاصرار بالتؤدة والشدة باللين وبذلك يمهّد طريق الاصلاح ويرفع العثرات التي تحول دونه في هذا السبيل .

هذه مسألة بديهية لأن عمل الاصلاح أسمى عمل بين الاعمال ولا ينال شأوهذا السمو عادة غير أفراد قلائل يجب أن يكونوا متصفين

بصفات سامية كثيرة أخصها ست صفات نذكرها هنا على أمل أن يراعها المنتخبون عند تأليف المجلس فيما لو الف حتى لا يعود فيتحال مرة أخرى وهي : أولاً - أن يكون المنتخب (بالفتح) ذا كفاءة شخصية الى حد يمكنه من معرفة المطالب العصريه التي تستتير بها الافراد وترقي الشعوب وثانياً ان يكون ذا سمعة طيبة وثالثاً أن لا يكون من طبعه التفاخر بالأعمال ورابعاً أن يكون حراً جريئاً لامتهوراً طائشاً وخامساً أن يكون مستكماً لأحاجاته الشخصية حتى لا يحول خدمته العمومية الى جانبه وسادساً أن تكون في يده قوة مؤثرة يستخدمها في تنفيذ أغراضه في سبيل الإصلاح

ورأينا بعد ذلك الى الشبان وغيرهم الذين يضجون كثيراً بالمطاعن أن يخمدوا من جذوتهم وان يضبطوا من السنتهم وأن يدعوا العقلاء لحل الاشكال واصلاح احوال . والله الموفق على كل حال

المدافن

ان مدافنتنا خصوصاً في القرى والبلاد مغاور مهدمة في وسط طرقات ومسالك وعرة تلقى فيها الجثث والتوايت بعضها فوق بعض حتى اذا امتلأت نبشت والقيت العظام في الطرقات بطريقة مستهجنة تدمي الافئدة . ولا يمكن أن تجد مقبرة واحدة تستحق الذكر لأبناء الطبقة الوسطى أما الفقراء فلا يدهشك اذا قلت لك ان دفنهم عبارة عن القاءهم في محيط عفن مفتوح تهبط اليه الطيور والنسور لنهش

الجثث التي أمر الله تعالى بحفظها ووقايتها كما أمرت القوانين الوضعية بأن تكون في مأمن حتى لا تنتقل ميكروباتها الى الأحياء فتعدهم الحياة وتلقيهم في الحفر

نعم ان الاضطهاد الذي حل بالامة في القرون الماضية جعل مقابرها على هذه الصورة المريعة ولكن في هذا العصر حيث أصبحت في رخاء وعدالة لماذا لا تهتم ببنائها وتنظيفها واصلاح طرقاتها . أو ليس من الغريب انها تقصر في هذا الأمر مع انه أهم وألزم وأوجب وأرحم من اقامة المآتم العظيمة التي تتباهى بها على ظهور الموتى

ولا عبرة بأن الميت سواء صينت جثته أو لم تصن ستحل عناصرها وتعود الى التراب الذي خلقت منه لان وقايتها والحفاظة على عظامها أمر واجب ومقدس في آن واحد لا سيما وان أجدادنا كانوا يعتنون بالاجساد بعد الموت اعتناءً خاصاً كما يعتنى بها الافرنج اليوم حتى جعلوا اضرحتهم قصوراً جميلة يتمنى الانسان أن يعيش فيها لا أن يلحد في جوفها وليس اعتناؤهم هذا اعتباطاً منهم بل تنفيذاً لتعاليم السيد المسيح نفسه الذي أوصى بالموتى خيراً

ولا أهم من أن نرسخ في نفوسنا تصوراً عادلاً عن هذه الحياة التي نحرص عليها لكي نحافظ على جثثنا عند الفناء وقد قال باكون « ان الامم التي لا تعرف توقير موتاهها لا تعرف كذلك قيمة الحياة » ولا خلاف ان المشاهد بيننا الآن هو عدم المعرفة حتى لتحدث كثيراً من

الناس بشكون ويتذمرون من أن عظام أهلهم وأولادهم تنبش من القبور وتلقى خارجاً كما تجدد الوفا لا يعرفون مقابر موتاهم أما لأن الكنائس ضمتها على غيرها وأما لأن تهدمها جعلها ركائماً من التراب وكل هذه الأحوال التعسة المحزنة تعتبر دليلاً على أن مصائب الاقباط ليست محصورة فقط في حياتهم بل وفي مماتهم أيضاً .

ولقد لقب الجنرال ديسيه القائد الفرنسي الشهير بمقابر الاقباط عقب وصوله الى مصر في حملة نابليون بمستنقعات وبرك تغوص فيها الجثث حتى انه خشي أن يلحد فيها صديقه الجنرال يعقوب القبطي فصاحبه معه الى باريس ومن حسن حظه مات فيها ودفن في البنتيون باحتفال كبير . وهو أول رجل قبطي على ما أعلم وقرت جثته واحترمت ولعل تلك الكلمة الصغيرة التي اوردناها تستفز العقلاء فيؤلفون لجنة منهم لتحسين المقابر وتنظيفها وتنسيقها لتكون مظهراً من مظاهر الحياة في الامة ودليلاً ينادي على شعورها بتوقير موتاهها

الاقواف

هي أغنى أوقاف الزمارة في الشرق وأوسعها أرضاً وأكبرها ريعاً كما يوضحها الجدول المنشور في غير هذا المكان . أما عهدا فيرجع الى قرون واجيال ماضية وترجع هباتها الى قوم من كرام المحسنين الذين عاشوا في اوقات مظلمة وتمكنوا على الرغم منها ومن نيرها أن يمتلكوا بمجدهم وجهادهم الاطيان الشاسعة والعقارات الواسعة لاجبا في التمتع والملاذ

بل رغبة في ترقية امتهم وميلا لانتشال الفقير من وهدة التعاسة الى مستوى السعادة .

هكذا صنع اولئك المحسنون الكرام وعلى وجوه الخير وتربية اليتامى واعالة الارامل وفتح المستشفيات وتعمير الكنائس والمدارس اوقفوا اموالهم وارضيتهم ولم يكونوا انبياء ليعلموا أن تلك الاموال والاراضي ستمتد اليها الايدي في القرن العشرين فتبددها في غير سبيلها ويصبح الفقير جائعا عاريا واليتيم شقياً بائساً والمريض عليلاً دنفاً والشيخ متسولاً دليلاً والمدارس مزاود والكنائس ملاهي والاديرة محطاً للكسالى لا معابد للمتقشفين .

هذه هي حالتنا اليوم افليستيقظ النائم وليتنبه العاقل وليسمع المتصام وليفهم ذوو الشعور الحي أن من الفضيلة والحنان والرقى القيام بمطالبة الحكومة بتنظيم هذه الاوقاف أن لم يكن رحمة بانفسهم فتخفيفاً لويلات ومتاعب الانسانية المعذبة من اخوانهم ومن ذا الذي يري تلك الالاف المؤلفة من الشعب تقترش الارض وتلتحف السماء وتشرب الدموع وتأندم الهواء ولا تأخذ الشفقة عليها .

اسمعوا اسمعوا ان صوت السيد المسيح الذي يرن في اذانكم من ٢٠ قرناً مضت أن لم يهز عاطفة الرحمة في قلوب المستغلين ريع اوقافكم فلا بد ان يهز عواطفكم ومن ذا الذي لا تأخذه صيحة الصائحين وانين البائسين بل من ذا الذي يرضى أن تبقى امته جامدة منحطة واموالها

مبددة مبعثرة . ولدرهم واحد ينفق على الفقير في شريعة الله خير من الف تقي ورع ودرهم ينفق على التعليم خير من الف راهب يقضون حياتهم في غياهب الجهل والغباوة .

على أن هناك فريقاً كبيراً يتوهم بأن ريع الاوقاف ينفق في سبيله ولو كان هذا التوهم صحيحاً لما ضن نظار الاوقاف برفع تقارير سنوية الى الشعب عن وجوه الايرادات والمصروفات بل لما اصبحت حالتنا في هذا الجود الذي وصفناه . أو ليس من الحرام أن اوقافاً عظيمة كواقفنا يزيد ريعها السنوي على مائة الف جنيه ولا يعرف اين يذهب ولا اين ينفق . أو ليس من العار أن تكون ايرادات اوقافنا نحو ربع ايرادات اوقاف اخواننا ولا نساويهم على الاقل في اعمالهم الخيرية والعمومية في حين أن عددنا لا يزيد عن عشر عدهم .

أفي صدور رجالنا قليل مما صدور امثالهم من اخواننا ليقوموا يدا واحدة مطالبين بحقوق امتهم حتى يبددوا متاعب الفقراء وينفوا شقاء اليتامى والارامل ويمسحوا دموع الباكين ويرفعوا شأن المدارس ويعمروا معابد الله ليحققوا آمال الواقفين

وها هي أملاك الاوقاف وريعها امامكم القوا بنظرة عليها لعلها تستفز همكم وتنهضكم من خمولكم وها هو غبطة البطريق يمد يده اليكم لتعينوه بفضلائكم على تنظيمها وضبطها وانفاق ريعها في السبل التي وضعت لها ولكنه يطلب رجالا للعمل لا للعناد وللجهاد لا للمقاومة

أَمْلاكُ الْأَوْقَافِ وَرِيعُهَا وَقِيمَتُهَا

أماكن الأوقاف	مقدار الأمان		قيمتها ريعها		مقدار الأمان		قيمتها ريعها		مجموع	
	س	ط فدان	جنيه	جنيه	منازل	جنيه	جنيه	ريعه	القيمة	جنيه
دير انبا انطونيوس	٣	٣	٩٣١	١٥١١٠٠	٧٨٠٧	٤٠	٥٣٣٥٠	٢٦٣١	١٠٤٣٨	٢٠٤٤٥٠
دير انبا بولا	٦	٢٠	٦٨٠	١٠٩٠٢٠	٥٢٦٢	١٠	١١٣٨٠	٥٢٢	٥٧٨٤	١٢٠٤٠٠
دير أبو مقار	٢	٣	٩٤	٩٥٠٠	٤٨٠	٧	٦٢٠٠	٣٠٦	٧٨٦	١٥٧٠٠
القيامة والست دميانه	١٠	١٤	٨٠٠	٣٢٤٠٠	٢٥٢٥	٧٠	٥٧٥٠٠	٢٦١٧	٥١٤٢	٨٩٩٠٠
دير البراموس	٨	٢٢	١٥٦	١٥٦٠٠	٨٥٥	١١	١١٦٠٠	٥٣١	١٣١٦	٧٢٢٠٠
الدير المحرق	٢٠	١٩	١٩٨٠	٢١١٤٦٠	٩٤٠٠	٨	٤٨٥٠	٢٣٣	٩٦٣٣	٢١٦٣١٠
انباشاي	٦	٦	٧٨	٦٤٠٠	٣٩٠	١١	١٠٥٣٥	٥٢٣	٩١٣	١٦٩٣٥
كنيسة الاسكندرية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣٩	٦٦٤٥٠	١٦٣٨	١٦٣٨	٦٦٤٥٠
دير السريان	٤	٢٠	٨٠	٦٨٠٠	٤٥٥	١٠	١٠٥٣٥	٥٢٢	٩٧٧	١٧٣٣٥
الكنيسة الكبرى بمصر	١٦	٢٠	٣١٢٢	٢١٠٣٢١	١٠١٣٨	١٠٠	٤٥٤٤٢١	٨٥١٧	١٨٦٥٥	٦٦٤٧٤٢
أوقاف سنديس	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٥	٢٠٠٠	٠٨٨	٨٨	٢٠٠٠
دير جبل الطير	٢٠	١٩	٤٥	٣٩٠٠	٢٥٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢٥٠	٣٩٠٠
دير حارة الزويلة	٨	١٦	٣١	١٦٠٠٠	١٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٠٠	١٦٠٠
أوقاف الجمعية الخيرية	٨	١٢	٢٨٦	١١٠٨٠	٩٣٠٠	٣	٩٠٠	٥	٩٣٠٥	١١٩٨٠
أموال القدس	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٥٠٠٠٠
المجموع العام	٩	١١	٨٢٩٠	٧٨٣٥٨١	٤٦٩٦٢	٣١٤	٦٨٩٤٢١	١٨١٣٣	٦٥٠٩٥	١٦٢٣٣٠٢

(١) ولها أيضاً من النخيل ما قيمته ٦٥٠٠ جنيه وريعه ٣١٣ جنيه في السنة ومن الأوقاف الخيرية ما يزيد ريعه عن الألفي جنيه ومن الرسوم والنذور وغيرها ما يبلغ ريعه فوق الألفي جنيه على أقل تقدير. هذا والجمعية التوفيق من الأوقاف ٥٥ فدانا قيمتها ٤٠٠٠ جنيه و٤ منازل قيمتها ٢٣٦٠٠ جنيه

والتوقير لا للتحقير

نقول ذلك ونحن شديداً الأمل بالنجاح أو ببعضه لاننا نعتقد ان عار الفشل في تنظيم الاوقاف سيكون ملازماً لنا الى الابد واعظم دليل على انطباعنا على الالهال والجنول وهما من اقبح المزايا التي يعيرنا بها الغربيون في اقوالهم وكتاباتهم . فهل نحن مدركون ؟ الله اعلم

الحياة الادبية والاجتماعية



دخلت الامة القبطية منذ عهد الفرنسيين في عصر أدبي عظيم لم تعرفه من قبل ولم يدر في خلد ابنائها انها ستتحوّل هذا التحول السريع وتنقلب هذا الانقلاب العظيم ولكن الذين خبروا أحوالها وعقولها في ازمنة الظلم والعبودية ووقفوا على ذكائها المتوقد كانوا يتوقعون حدوث هذا التغيير طبقاً لمقتضى ناموس التقدم والعمران في كل أمة ذكية تشغل بالعلوم الحديثة وتحتك باهل المدنية الصحيحة الخالية من شوائب الاوهام ومفاسد الخزعبلات

وقد بدأ هذا العصر الادبي بظهور المعلم الياس بقطر واضع أول قاموس بلغتي العرب والفرنسيس ومؤلف عدة تصانيف في اللغتين لا تزال محفوظة في مكتبة باريس ومثداولة بين ايدي طلبة مدرسة المستشرقين ثم ازداد نمواً في عصر محمد علي واستكمل في سنة ١٨٤٠ حيث انشأ المغفور له البطريرك كيرلس الرابع أول مطبعة أهلية طبعت عدة

مؤلفات ثمينة احدثت في الامة ثورة أدبية كان تأثيرها هائلا في الافكار حتى انك لا تكاد تعد النوابع الذين رفعوا شأن الامة واكبروها في عيون الامم الغربية الا ذلك النفر الذي تخرج في ذلك العصر المستنير وكان له الفضل الاكبر على البلاد ليس فقط في تربية اولادها وتلقينهم العلوم واللغات بل وايضاً في نشر الصحف التي هي عنوان الرقي الادبي في كل أمة فظهرت جريدة الوطن لمخائيل افندي عبد السيد كانت لها الصوت الارفع والكلمة المسموعة في اخريات حكم اسماعيل واوائل حكم توفيق ثم برز الى ميدان العلوم والاداب والتأليف والتصنيف والترجمة جماعة من كبراء العقول وفحول العلماء امثال وهي بك ومخائيل بك شاوريم والمرحومين يعقوب بك ونحله رفيله وجرجس بك ميلاد وعريان افندي مفتاح وابراهيم بك روفائيل والقمص فيلو ثاوس ورفله افندي جرجس وغيرهم من الافاضل الذين اطرفوها بنفائس معارفهم وعلومهم واراآئهم وارشاداتهم في كتب تتضمن كيف يجب النهوض وكيف يجب الارتقاء . بل في كتب تمد حجة في اللغات العربية والقبطية والاجنبية والتاريخ والاداب ويكفي ان تكون مؤلفات اولهم من ائمن المؤلفات العربية والادبية التي لم يأت بمثلها الا القليل من علماء النحو والبيان والبديع والعروض كما يكفي ان تكون مؤلفات رابعهم أول كتب وضعت لتعليم اللغة الانكليزية ولا تزال متداولة بين ايدي طلاب المدارس الاهلية والاميرية وكما يكفي ان يكون مؤلف ثانيهم اعظم

تاريخ وضع لمصر بشهادة كثيرين من فضلاء المؤرخين
وليسث دائرة التأليف عندنا مقصورة على من ذكرنا بل هناك
مؤلفات عديدة لبعض الفضلاء في العلوم والفنون والتشريع والمباحث
الاخلاقية والمالية والدينية وكلها دليل على ان القرن الماضي كان قرن
جهاد وارتقاء عقبه في هذا القرن سكون دام الى هذه الأيام ولا يزال
مستولياً ولا يمكننا تعيين نهايته بعد أن دلتنا الدلائل على ان خمود جرة
الغيرة الادبية في صدور النوابغ هو لانهم لم يجدوا في القلم لذة توازي
لذة جمع المال ولم يجدوا على المكتبة الأدبية المجد والفخر اللذين
وجدوهما في الشهرة الذاتية التي تموت بموتهم . ولقد صدق من قال ان
سعادة الغني جمع المال من الناس فيموت دون ذكرى ولو كان أعلم
العلماء وسعادة العالم توزيع العلم على الناس فيبقى ذكره حياً الى الابد
على ان تلك اللذة المالية أوجدت شعوراً عاماً كاد لولا همة بعض
الفضلاء وأصحاب الصحف اليومية والمجلات أن يطفىء تور الحياة الادبية
في الامة وليس من دليل يمكننا أن نتكئ عليه في اظهار هذا الشعور أصح
من تجافيه عن الأخذ بمعاونة المؤلفين أو على الأقل بدفع اشتراكاتها في
الصحف والمجلات التي ترفع صوتها في كل مكان وتظهر مكانتها من
العلوم والرقى وياليت الذين ييخلون بهذه القيمة القليلة من الفقراء بل
معظمهم من الاغنياء الذين اذا سألتهم دفع الاشتراك أو اعانة مشروع
أدبي ولو بقليل من مالهم كنت كمن تتكلم معهم بغير لغتهم فهم يسمعون

منك لفظاً ولا يفهمون له معنى وإذا أعدت عليهم القول والحض فاما أن يهربوا منك هرباً أصولياً ويتقهقروا بنظام وإما أن ينتحلوا أعذاراً وهمية بان غلاف الجريدة يرد اليهم دون طبع وبدون التبجيل اللازم واما أن يتشاءبوا ويناموا فتضطر أن تدعهم وشأنهم شفقة عليهم أو اشمئزاً منهم أو احتقاراً لهم

وبناء على ذلك هبطت الامة بعد علاها الى أحط الدرجات في هذه الحياة العالية وأصبحت مضغعة في الأفواه بفتورها وجودها . وقد لا يمكن أن تعيد مكانتها الاولى الا اذا هذب أولياء التعليم عندنا معارف أولاد الأغنياء ليرقوا غداً حالة الأدب والادباء

الصحافة والمجلات

هي شعار الامة وعنوان رقيها الأدبي في نظر الاجتماع ليس لانها تعمل فقط لخير بلادها ورفع شأن شعبها بل لانها المصباح المنير الذي يضيء طريقة والصوت العالي الذي يتردد في كل مكان مدافعاً عنه مطالباً بحقوقه أزاء العناصر الأخرى معضداً له في معضلات الامور فهي شريكته في القول والعمل كما هو مدين لها ضعف دين أصحابها لواجبات المقدسة

وإذا ما قلنا ان الصحف والمجلات من أعظم الأدلة على ارتقاء الامة فلانها مرآة أخلاقها وعاداتها بل هي لسانها الذي تنطق به بصراحة تامة وقامتها الذي تجريه بلا تصنع ولا تكلف . فمن أحاديثها وإشارات

تعرف مقام عقول أمته ومداركها ومن آثار أعلامها تقف على مقدار استعداد تلك الأمة للارتقاء وتعرف قوة مواهبها الغريزية والاكتسابية وفي أي طريق تسير بها هذه المواهب وإلى أي غاية تقودها . والحمد لله فقد رأيناها تنهض بنا إلى حيث يصالحنا المستقبل بيمين السلام . وتجاهد في سبيل ترقيتنا جهاداً يوصلنا إلى الفوز المبين ولكننا لم نمد لها يد المعاونة والمساعدة الأدبية والمادية حتى لا أغالي إذا قلت أنه لو لا همة رجالها وانكارهم لذاتهم لاصبحت الأمة خالية من هذه القوة الحيوية العظيمة

ولا محل للعجب من هذا الأمر لأننا لو بحثنا عن الأسباب الجوهرية التي حجبت مجالات عامية كثيرة لرأيناها ترجع إلى سبب واحد وهو عدم اقبال الأمة على الاشتراك فيها وضمن المشتركين أنفسهم بدفع الاشتراك . وسواء كنتم تجهلون هذه الحقيقة الساطعة أو تتعمدون تجاهلها فعلى كلا الحالين لا بد لكم أن تصادفوها في طريقكم وتشعروا بتأدية واجباتكم نحوها كما تؤدي هي واجباتها نحوكم التي يتوقف عليها رقيكم الاجتماعي

وفضلاً عن ذلك فقد توجد دفاتر الاشتراكات في إدارات الصحف والمجلات دليلاً على هذه الحقيقة وعلامة على الجهود المتمشي في صدوركم وعلى جهلكم بمقتضيات حالات الرقي الاجتماعي والأدبي والعمراني في الأمم

والذي يوجب الاسف والحزن الحقيقي ليس هو فقط عدم الموازنة
المادية بل على الخصوص تجافي النوابع واهل العلم عن مناصرتها باقلامهم
ومع ان بعضهم كان من اول الغيورين على انشائها كان اكثرهم ابتعادا عنها
ليس لانها على مبادئ تخالف مبادئهم بل لانهم يستصعبون خدمة امتهم
بدون جزاء مادي

وقد اوجبت هذه الحالة وجود نوع من التفرق في آراء وافكار
الصحيفتين اليومييتين في مبدأ الامر أي انه كان لكل منهما مبادئ
وأفكار قائمة بذاتها وعلى مقتضى ميول قرائها ثم عادت فامتزجت
في هذا العام امتزاجاً حقيقياً للتوفيق بين تلك المبادئ المتفرقة والأفكار
المختلفة

وهذا الاتحاد الذي يسرنا جميعاً تم على خلوص النية وحسن الطوية
ومقصود به خير الامة الادبي واصلاحها الاجتماعي والوطني . وبقينا
انه من عهد هذا الوفاق والاقباط مؤلفون في افكارهم متوحدون
في ارائهم معتمدون عليها في نيل حقوقهم المضمومة اعتماداً زاد صاحبيهما عملاً
وجهاداً حتى لا ابالغ اذا قلت انهما كرسا حياتهما لخدمتهم وضحيا كل
سعادتهما واوقاتها في سبيلهم .

ومن رأى جندي بك ابراهيم صاحب الوطن وتادرس بك شنودة
صاحب مصر منكبين ليلاً ونهاراً ساعين سعياً متواصلاً لحياء امتها
عرف فضلها ومن المزايا التي اختصا بها وكانت أعظم الاسباب لنجاحهما

وشهرتهما الواسعة انه اذا خطر لهما ان يقوما بأمر عظيم الشأن فلا يترددان في ابرازه من القول الى الفعل لحظة واحدة لا سيما اذا لاح لهما ان عمالهما هذا يعود بالفلاح الباهر على امتها وبلادهما فانها يقدمان عليه أقدام الاسود ويكفيهما الجهاد العظيم في تمتين رابطة الاخاء بين الاقباط والمسلمين باخذ اصوات المتصرين الذين يجارون ابناء العنصرين في اوهامهم واحلامهم وجهلهم وخز عبلاهم وهو سهم حبابي سلب المال بل يكفيهما النضال الشديد في مقاومة السلطة الدينية لفصلها عن السلطة المدنية رغبة في رفع شأن امتهم

اما مجلاتنا فله الحمد كثيرة ونافعة . وان احتجبت منها المجلة القبطية لجر جس افندي فلتأؤس وعين شمس لاقلا ديوس بك لبيب والعائلة القبطية لجمعية الاتحاد الاسكندري . وقد بلغ عددها في هذا العام ٢١ مجلة وترى عنواناتها واعمارها ومباحثها واسماء اصحابها وعدد مشتركها في الصحيفة التالية

وقد يستفاد من هذا البيان الوجيز ان نفقات المجلات تربو على ايراداتها بكثير اذا نظرنا الى عدد مشتركها وقيمة ما يدفعون بل اذا نظرنا الى عدد الذين يأكلون حقوقها وكثير ما هم . وانها لفضيحة كبرى ان تكون أمة كالأقباط ينوف عدد القارئ والمتعلمين فيها على غيرهم ولا يكون نصفهم على الاقل مشتركين في النشرات العلمية والادبية والاخلاقية والدينية للاستفادة بما فيها وتنشيطها على التنقل

عمرها سنة	مقاطعة جنوبية	قيمة اشتراكها	عدد مستفيدين	أصحابها	مباحثها	أسمائها
٩	٢٤٠	٥٠	١٢٠٠	عوض واصف	علمية ادبية تاريخية	الحيط
١١	١١٠	٢٠	٩٣٠	توفيق عزوز	» »	المفتاح
٢	٦٦	٧٠	٦٠٠	توفيق حبيب	اجتماعية ملية أدبية	فرعون
١٥	٧٠	٣٠	٨٠٠	الدكتور حبيب خياط	صحفية أدبية	طيب العائلة
٢	٣٥	٥٠	٥٠٠	مسيحه خليل الجرجاوي	علمية زراعية	الشمس
٣	٩٠	٤٠	١٠٠٠	السيدة ملكة سعد	نسائية أدبية	الجنس اللطيف
١٦	١٣٠	٢٥	٨٠٠	يوسف بك منقريوس	دينية ملية أدبية	الحق
٤	٧٠	٤٠	١٠٠٠	فرح جرجس	» »	الرابطة المسيحية
١٥	١٢٠	٢٠	١٥٠٠	جميلة التوفيق بالقاهرة	» »	التوفيق
٦	٢٠٠	٢٥	١٩٠٠	حبيب جرجس	» »	الكرامة
٨	٦٠٠	٤٠	٥٠٠	عازر حلمي الحامي	قضائية تشريعية	ميزان الاعتدال
تصدر في يناير سنة ١٩٩١		٥٠		جرجس يااضي	علمية فلسفية أدبية	المستطاف

من درجة الى اخرى اعلى منها حتى تصير على مثال غيرها من المجلات الاوروبية الكبيرة أو على الاقل يساعدون اصحابها الذين يعانون المصاعب الجمة في اصدارها في حين انهم لو تحملوا ربع عنائهم واضاءوا ربع وقتهم في بسط عمل كسمرة أو دلالة او نحوها لربحوا اضعاف ما يربحونه اليوم من صناعتهم القلمية

واني وان كنت لم اتباحث مع اصحابها عن الطرق التي اتبعوها في بقاء مجلاتهم حية الى اليوم ازاء فتور الامة وجودها الا اني اختبرت ثلاثة منهم اختبارا حقيقيا يمكن ان يتخذ قياساً على الباقيين وهؤلاء الثلاثة هم عوض افندي واصف وتوفيق افندي عزوز وتوفيق افندي خبيب حيث نال أولهم وثانيهم من المتاعب ما تنوء أمامه الجبال الراسخة تارة من مماطلة المشتركين وأخرى من هزيمتهم وادعائهم الكاذب بأن المجلة لم تصلهم أما ثالثهم فقد اكتفى بأن يطبع مجلته ويتحف بها أبناء أمتة لانهاضهم على المطالبة بحقوقهم في الاوقاف دون أن يبحث في أمرهم أو يهتم بمن يدفع منهم الاشتراك او من لم يدفع. فتعسا لامة هذا حالها وويل لادباء هذه حياتهم

الجمعيات والاندية

ان انتشار الجمعيات والاندية ان لم يكن في حد ذاته من دلائل الارتقاء الطبيعي الصحيح الا انه يعين وحده على انهاض الامم الخاملة من سباتها لانه من الوسائل الثانوية التي تساعد على الارتقاء مساعدة

فقط وقد قال روسو وغيره من المفكرين ان من ضروريات السعادة في
الامم ان تكون ذات اجتماعات عامة مفيدة وصالحة لا تقتصر على صرف
الوقت في الاحاديث التافهة بل تستلزم أن تكون دقة محولة دواما
اصالح الشعب الذي تعيش فيه

ولا خلاف انه اذا كان الأقباط هم أصحاب الفضل الأول على
البلاد في تأليف الجمعيات والأندية قبل اخوانهم لشعورهم بما تستلزمه
الحضارة من التألف والاتحاد فقد تأخروا عنهم شوطاً بعيداً في ضروريات
هذه الجمعيات وكمالياتها . وكثير من الشواهد والأدلة تؤيد هذا
القول وأخرج الى جمعياتنا وأنديتنا مساء وتخللها تجدها اما خالية من
ومشتركيها واما مجامع صفاء ينفق فيها الوقت بين لعب وطرب على
حين ان أندية اخواننا مجتمعات للبحث في الشؤون العامة ولا لقاء
المحاضرات التي تفيد أعضائها وتعمل على تنمية عقولهم بما يزيدهم
شعوراً بحاجيات أمتهم وبلادهم مهما قيل انها أندية دينية محضة وأنديتنا
انسانية مجردة لأن ينبوعى نمو الإنسان أعني بها الديانة والانسانية
يجريان في آن واحد وينتجان النول الجود والتقدم لا التأخر

وقد لا ينبغي العجب من هذا القول فمن دخل هذه الجمعيات
ورأى فتور أعضائها وضمهم بدفع الاشتراكات وعدم اعتبارهم لحيثها
وتأخرهم عن حضور اجتماعاتها وتزاحمهم على رئاستها اتضح له الأمر
وعرف انها أسماء على غير مسميات حقيقية وهذه جمعية التوفيق المركزية

أكبر جمعيات القطر الاهلية بعد العروة الوثقى لولا ثبات رئيسها
الدكتور ابراهيم بك منصور وتضحيته لأمواله في سبيلها لما بقيت
الى اليوم حية عاملة

وفي وسعي أن أذكر أمورا أخرى كثيرة ولكن ما ذكرته
كاف ليثبت لنا هذا الامر الحقيقي ومع ذلك فقد لا يدفعني هذا
النقص الى اغفال الاعمال العظيمة التي قامت بها الجمعيات والمجتمعات
خدمة لامتها ووطنها لان في ذكرها تحريكا لغيرها في النسج على
منوالها

*
* *

كانت الامة حتى عام ١٨٧٠ على حالة لا توصف من الخلل وعدم
الانتظام وكان ابناؤها بعيدين عن كل تألف واختلاط ولم تكن
لهيئتهم رابطة ولا قدرة على الارتباط والاتحاد حتى قام نفر من افاضلها
في عام ١٨٧٣ والفوا جمعية باسم الجمعية الاصلاحية وهي اول جمعية
الفت في هذا القطر وكانت عليه محضه ثم الفت جمعية التوفيق في
سنة ١٨٩١ بواسطة بعض رجال النهضة ومنهم جندي بك ابراهيم صاحب
الوطن وتفرعت في جل عواصم الاقاليم والبنادر البحرية على
الخصوص وقامت باعمال عظيمة كانشاء المدارس لتعليم وتهذيب
البنين والبنات وقد انشأت في القاهرة مدرسة ابتدائية وثانوية كبرى
ومطبعة تعد من اكبر مطابع القطر وانظفها وعربات وتوايت للموتى

ومدرسة صناعية ومجلة طائفية تبسط فيها آراءها وافكارها الى غير ذلك من الاعمال التي تشكر عليها وتستحق لاجلها كل حمد وثناء .

ثم الف المرحوم بطرس باشا غالي الجمعية الخيرية القبطية خففت كثيراً من ويلات الفقراء وخدمت اليتامى والمرضى من عهد انشائها الى اليوم خدمات جليلة لا يستطيع أن ينكرها واحد كما اسست في السنة الماضية مستشفى خيرى في شارع كلوت بك . ثم الف جرجس بك انطون جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية وتركها لاخواننا ثم شكل اخنوخ افندي فانوس وتادرس بك شنوده صاحب جريدة مصر مجتمع الاصلاح لكنه مات قبل أن يمر عام على تأليفه وان عاشت فروعه في اسيوط وفي بعض البلاد تناضل في سبيل الامة لاعادة مجلسها الملي وكذلك الف حبيب افندي جرجس صاحب مجلة الكرمة جامعة المحبة وهي من اقوم جمعياتنا حيث تبذل كل غال ومصر تخلص في سبيل تثقيف البنات الفقيرات والقيام بحاجياتهن بالرغم من شح الاغنياء وبخلهم عليها ثم الفت جمعية الاتحاد في الاسكندرية وهي تعد ايضاً من افضل الجمعيات وارقاها لانها تشتغل بجد واجتهاد للقيام بزواج الفقيرات مستمدة مالها من اعضائها لتنفقه في سبيل الراقدات تحت نير الفاقة والشقاء ثم الفت جمعيات الرابطة المسيحية والايمان وثمره التوفيق والاخلاص والثبات وكلها ملية غرضها تثقيف عقول الشبان بتعاليم السيد المسيح وبعدها الفت جمعيتا الترغيب والتهديب في القاهرة

وثمره الحياة في المنصورة فانشأت المدارس لتعليم البنين والبنات واخيرا
الفت جمعية اصلاح النفوس وهي أدبية تبسط آراءها في مجلة فرعون ثم
جمعية الشبان المسيحيين في القاهرة وهي ارقى جمعياتنا حيث تسير
فعلا على مبادئ تؤهل الامة للتقدم والفلاح لان جل اعضائها من
نخبة الشبان المجاهدين لاعلاء شأن امتهم وبلادهم .

على أن كل ما نراه من اعمال هذه الجمعيات نجده قائما على اكتاف
افراد معدودين اما بقية اعضائها ومشاركيها فهم صور تتحرك لا للعمل
والخدمة العامة بل للتفاخر والشهرة الذاتية . وقد طالما تصدعت الخواطر
من ادعاء آت الذين يحشرون انفسهم في موضع المصلحين وهم تراهم في
كل يوم ينادون بانهم اول من فعل وهب أن لهم هذه الاعمال التي
يدعونها فليس من واجب الخدمة العمومية التفاخر بها لان ذلك من
قبيل الخدمة الشخصية المنافية لخدمة الصالح العام . وقد تطرف
كثيرون في هذا الميل وصار كل منهم يحاول الادعاء بانه الالف
والياء والاول والاخر والحقيقة التي يجب أن يعترف بها أن أكثر
الذين يتولون شؤون الاصلاح في الامة يغلب فيهم الضعف على القوة
فهم في حاجة كبرى الى الاتحاد حتي تنشأ فيهم قوة تؤهلهم لعمل
الاصلاح ولا يكون هذا الاتحاد الا اذا نفى كل امرئ عن نفسه
حب الظهور الكاذب ومحاولة اسقاط غيره أو تولى غيره اسقاطه لان
في شيوعه بيننا مضره فاضحة لا يجمل امرها العقلاء .

والخلاصة اذا كانت امتنا دخلت أو كادت تدخل في سلك الأمم
الراقية يجب أن لا تكون جمعياتها راسخة في قيود حب الذات وضعف
الارادة بل يجب أن تكون عاملة على خير امتها بدون نظرفي جزاء ولا
اهتمام بشئ لنصل واياها الى الدرجة التي يريدها لها المخلصون والسلام

الحياة الصناعية والفنية



كنا آباء العالم في الصنائع والفنون كما كنا مهذبي الشعوب من
الرومان الى العرب الى الأتراك الى سائر الأمم التي تملأ جوانب الأرض
من مشرقها الى مغربها وقد بقيت صنائعنا وفنوننا زاهرة زاهية حتى
القرن السابع عشر للميلاد ولا تزال الآثار القديمة والأعمدة والنقوش
في المساجد والكنائس وفي متحف الآثار العربي شاهدة عدل على
هذا الرقي وذيالك النبوغ

قال الرحالة بروس الانكليزي (١) « لا تزال الصنائع نامية في مصر
الحديثة كما كانت في مصر القديمة حتى لا يمكن أن تفرق بين اتقان
الصناعتين ولا أن تميز بين الصانع المصري الوثني والصانع المصري
المسيحي في شئ ». وقد صدق هذا الرحالة في قوله فان من ضاهى بين
صنائعنا وصنائع غيرنا حتى ذلك العصر عرف تفوقنا فان العرب لم

(١) جاب أفريقيا في القرن الثامن عشر للميلاد وكتب طويلا عن المعلم رزق
وزير على بك الكبير ولقبه بالفلكي المصري لبراعته في رصد النجوم

يعرفوا ببناء القباب والمآذن التي تزدان بها الكنائس حتى ان كثيرين من الولاة كانوا يعجبون بها ويندهشون من نقشها الهندسي الجميل وبعد ذلك قلدونا في بناء جوامعهم وان أخذوا أعمدتها بالقوة من كنائسنا لانهم لم يفقهوا نحتها وتشيدها على القواعد الهندسية التي كانت معروفة يومئذ لنا غير انهم صنعوا في الأزمنة الاخيرة أعمدة لمساجدهم اذا رأيت أحدها عرفت الفرق الهائل بينها وبين أعمدة الكنائس القبطية التي سلبوها منها ويكفيك دليلا المسجد الاثري القديم في المحلة الكبرى فانه يحتوي على مائة عمود منها ٧٤ أخذت من الكنائس القبطية والباقية أعمدة حديثة لا تناسب تلك في شيء كذلك أكثر الأعمدة الموجودة في الجامع الازهر وبقية المساجد القديمة فانها مأخوذة من الكنائس أو صنعها الاقباط بانفسهم كما ان ظهور المدينة في بغداد ترجع الى فضلهم حيث استدعى هارون الرشيد الخليفة المشهور فريقاً كبيراً من مهندسيهم وصناعهم لبناء قصوره ومساجده ومعامله

وليس ذلك فقط بل ان القناديل والمصابيح والاسبله والنقوش والمنابر الجميلة الموجودة في المتحف العربي وفي المساجد ليست الا من صنعهم في معاملهم التي بقيت تشتغل في وادي النطرون وفي الصعيد حتى أواخر القرن السابع عشر وبالمثل قل عن الميضة الموجودة في المساجد للوضوء فانما استعملها العرب على طريقة الحوض الموجود في الكنائس القبطية للاغتسال فيه يوم خميس العهد وعيد الغطاس وفوق ذلك فقد

شيد ابن كاتب الفرجاني المهندس القبطي الشهير جامع أحمد ابن طولون وصنع في صحنه ميضة جميلة الشكل منمقة بالفسيفساء (١) والاحجار الملونة كما نقش في رواقه وصف وتاريخ بنائها وهذه الكتابة لا تزال واضحة وظاهرة الى اليوم كأنها حديثة العهد كما بنى هذا المهندس المسجد كله وصنع له أعمدة بلا مثيل وقبابا وقواصر تعد أجمل مما صنعه الصناع في الاعصر الاولى ثم أرغم بعد عمله على اعتناق الدين الاسلامي فأبى وكانت نتيجة آبائه قطع رأسه واخذ أنفاسه (٢)

(١) هذه صناعة مصرية قديمة لا عربية كما يدعي البعض وقد عثر عليها المسير بتري العلامة الاتري في مقابر قدماء المصريين وقال عنها في مؤلفه ان أجل المقابر في ميدوم هي مقبرة الامير نفرمايت وامراته اتيتي لان نقوشها تختلف عن النقوش المعتادة فتجد الطيور ماثلة في الحجر بظلمها وتقاطيعها ومصنوعة بالفسيفساء اي بالينة الملونة بلون أجزاء الجسم

(٢) قالت مدام بوتشر في تاريخ الاقباط الذي وضعته حديثا ان أحمد بن طولون لما أراد بناء جامعته تقدمه الله أمر فتلي عليه القرآن الكريم فلما ان وصل به القاري الى الاية الامة بعدم استعمال الادوات المسروقة في بناء الجوامع نهض من مكانه ومزق ثيابه وصاح قائلاً انه يستحيل تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فاني ما سمعت من يوم وجودي في العالم ان جامعاً بني دون أن تأخذ أعمدته من الكنائس المسيحية ولكن المهندس بن كاتب الفرجاني القبطي الذي كان مسجوناً وقتئذ أرسل اليه يقول انه اذا أطلق سراحه فهو يتعهد ببناء الجامع بدون نهب شيء ولذا حل عقابه وأمره ببنائه فبناء على أحسن نسق وبال الخزينة السلطانية التي كان يديرها وقتئذ المعلم يوحنا وابنه مقاركا قال المؤرخ نيل الشهير

على أن همة الاقباط لم تقترب بعد موته بل اخذت الصنائع تزداد ارتقاء ونموا حتى بلغت مبلغا عظيما في عهد السلطان سليم الذي سير معه عقب استيلائه على مصر اهل الحرف والفنون والعلوم والمعارف من الاقاط وبينهم المعلم بانوب كاتب خزينة الاشرف وابراهيم زيدان وعبدالله بركات ليضعوا نظاما حسائيا لسلطنته على مثال النظام الموجود في مصر ومن هؤلاء تحضر الاتراك ونبغوا في الصنائع والفنون والهندسة والحساب كما تحضر العرب على ايدي اخوانهم من قبل .

والذي يزيد هذا البيان ثبوتا أن جميع الصناعات التي لها علاقة بالمعيشة لا تزال الى اليوم في ايدي الاقباط وان انحطت وزال رونقها واتقلتها وتنسيقها كما أن الحساب القبطي هو الشائع للآن في مصر بواسطة النظريات الحسابية البسيطة حتى أن المهندسين يرجعون اليه في مساحة الاراضي وبالرغم من جهاد مصلحة المساحة في ايجاد طرق اخرى لم تتمكن أن تخرج عن الطريقة القبطية فاضطرت أن توسع نظريات حساباتها وتقيدها بضوابط هندسية حتى يمكن عمل الحساب على المسايح بالطريقتين القبطية والهندسية في آن واحد بان اخترعت لذلك آلة لمسح الاشكال بحساب الفدان والقيراط والسهم وعلى هذا يمكن القول أن الحساب القبطي اصبح من الروابط الهندسية في هذه الديار .

والخلاصة اني ما اتيت بهذا البيان الا لاعرفكم ما ضيكم من حاضركم

واريكم الفرق الهائل بين ما كنتم عليه وما اصبحت فيه لعلكم تهبون
لتوسيع نطاق الصناعات وترقية شأن الفنون لتزيدوها نمو اوقوة فيزيدوكم
فلاحا وثروة ورخاء وتقدما .

المدارس الصناعية

في اخريات سنة ١٩٠٣ تنبّهت الامة الى ضرورة ترقية الصناعات
والفنون لاعادة مجدها القديم فقامت جمعية التوفيق تحض الاعيان
وتستنهض الهمم للاشتراك في هذه النهضة العالية وتلتها الدار البطريركية
في سنة ١٩٠٤ حيث هبت تجمع التبرعات لانشاء مدرسة اخرى .
(مدرسة التوفيق)

وقد تمكنت الاولى من انشاء مدرستها في سنة ١٩٠٥ لتدريب
التلاميذ على صناعتي البرادة والنجارة ولكنها لم تفز بالنجاح المطلوب
في مبدأ الأمر حيث أن ما قدمته من عمل تلاميذها في المعرض
الزراعي العام بالجيزة لم يكن الا شيئا يسيرا بالنسبة لما قدمته المدارس
الصناعية الاخرى وذلك لقلة ادواتها والاتها . ثم أثمت بعد التعب الشديد
تركيب وابورها المسير لآلات ورشتيها في السنة الماضية وشغلته كما
اخذت في انشاء مسبك لسبك المعادن ولكنها عادت فتوقفت عن
العمل لعدم وجود المال اللازم لديها لاتمامه فقط بل أيضاً لمشتري
لشراء العدد الكبيرة التي بتوقف على وجودها نظام العمل واتقان المتعلمين
لصناعتهم وقد علمت أن ورشة النجارة تنقصها مساحة (فارة) ومثقال

مع أن ثمنها لا يزيد عن المائة جنيه وورشة البرادين ينقصها مثقاب
امريكي لا يزيد ثمنه عن الخمسين جنيتها ذلك فضلا عن تأخير ادارة
الجمعية في دفع رواتب المعلمين حتى انهم توقفوا عن العمل في الاسبوع
الثالث من شهر ديسمبر الحاضر ان لم يأخذوا رواتبهم المتأخرة .

والذي اراه أن المدرسة في احتياج كلي الى مساعدة فعلية من
الامة لتستطيع القيام بنفقاتها وتكمل ما ينقصها وليست هذه المساعدة
التي نطلبها أن يمد الاغنياء ايديهم الى جيوبهم بل أن يقبلوا على
شراء ما يصنعه التلاميذ وان يوصوهم بصنع ما يلزمهم ويلزم ذوهم من
المصنوعات الخشبية والحديدية والاثاث المنزلية وغيرها لينشطوهم
من جهة وليسهلوا على القائمين بشؤونهم ترقية مدرستهم واتمام ما ينقصها

وقد لا اجد مسوغا لاحجام الاعيان والاهالي عن اتمام هذه
الרגائب الوطنية خصوصا وان الحكومة لم تبخل على هذه المدرسة
بمساعدها بل أخذت توصيها بصنع كل ما يلزمها من مصنوعات وأدوات
مدرسية ومصاحية وغيرها ولولاها لاندثرت واصبحت في خبر كان
واتي وأنا القبطي الصميم يحزنني أن أعلن للملأ هذه النقائص عن

أمتي ولكن هي الحقيقة واجب اذاعتها عن أمة جامدة أمة ضعيفة أمة
كثيرة القول قليلة العمل بل أمة بخيلة شحيحة تحاسب على المليم وتسعي
لاكتسابه بغض النظر عن مصلحة الملايين من النفوس

وقد علمت أثناء زيارتي لهذه المدرسة التي يديرها عبد الملك

أفندي فهمي من خريجي مدرسة الصنائع الاميرية انها تسع مائة تلميذ
وايس فيها الآن الـ ٤٧ منهم خمسة مسلمون بينهم اثنان مجانا وثلاثة
يونانيون ولا شك أنكم تتشوقون بعد هذا البيان لمعرفة عدد التلاميذ
في كل فرقة وكل صناعة فاليكم الجدول الآتي منقولاً عن ادارة الزراعة
والصناعة بنظارة المعارف

السنة	البرادون	النجارون	مساوي	مجانا	المجموع
أولى	٢٥	١١	٧	٢٠	٧
ثانية	٦	٣	٧	٢	٩
ثالثة	٣	٢	٣	٢	٥
رابعة	٤	٢	٢	٤	٦
المجموع	٢٨	١٩	١٩	٢٨	٤٧

(المدارس البطريركية)

في سنة ١٩٠٨ افتتحت مدرسة البنات الصناعية البطريركية في بولاق
وفي سنة ١٩٠٩ افتتحت مدرسة البنين الصناعية بجانبها وقد زرت هاتين
المدرستين في الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر الحاضر فوجدتهما واقعيتين
في أربعة أفدنة وتفصلهما اسوار شاهقة امام مقرهما ففي وسط أكواخ وازقة
ضيقة مظلمة تملأها الاوحال والاقذار حتى لا تستطيع أن تصل اليهما
الا بعد أن تبسمل وتحوّل لثلاثعلق بذيولك المكروبات القتاله التي تتطاير

منها فتقضي على صحتك ومع حيرتي التي تشبه حيرة الدار البطريكية في اصلاح هذه الطرقات وحصنها ضيافة لارواح التلاميذ والتلميذات فقد علمت أن ناظر المدرسة وصفي أفندي سعد وضع تصميماً لاصلاحها واشق طريق منها يتصل بشارع بولاق العمومي فلعل الدار البطريكية تعجل بتنفيذه حتى تزيد المدرستين رونقاً وجمالاً

أما برنامج التعليم في مدرسة البنين المذكورة فيقسم الى قسمين صناعي وعلمي فالتعليم الصناعي يتعلمه الطلبة في انبارين (عنبرين) يحتويان على محارف (ورش) الخياطة وصناعة الاحذية والنجارة والبرادة والخراطة وسبك المعادن والسراجة والتنكرة (السمكرية) والعربات وذلك على آلات تدار بقوة وابور كبير من صنع مدرسة الصنائع الاميرية ببولاق. ويتلقون العلوم في الصباح وبعد الظهر بالتعاقب على حسب النظام الذي وضعته ادارة الصناعة والزراعة بالمعارف وتنحصر في مبادئ العلوم الابتدائية وقواعد الرياضيات ومبادئ الهندسة الميكانيكية والرسم وذلك في غرف خاصة حاوية كل الادوات التي يحتاج المتعلم للتمرن عليها .

ويشترط على الطالب أن لا ينقص عمره عن ١٠ سنوات ولا يزيد عن ١٦ سنة ويتناولون جميعاً طعام الظهر في المدرسة على نفقتهم وبواسطة طاه خصوصي يبيع لهم صحيفة والخضار بثلاثة مليات فقط -

وللمدرسة عدا ذلك جوقة موسيقية من الطلبة تعزف الان ١٢ دوراً عزفاً مطرباً مشجياً وستفتتح في هذه السنة ورشة للآجر (الطوب

الاحمر) والتكليس (التبييض) وأعمال البناء على وجه العموم أما ناظرها وصفي أفندي سعد فهو رجل نشيط ومجتهد يبذل همه وأوقاته في تحسينها وتنظيمها . وتبلغ نفقاتها السنوية ١٧٠٠ جنيه تقريباً تتناصفها الدار البطريركية وإدارة الزراعة بالمعارف ويسرني كثيراً أن أعلن عناية نظارات الحكومة ومصلحة الأوقاف بتشغيل بعض ما يلزمها من المصنوعات والادوات في ورش هذه المدرسة وإن أعلن كذلك اهتمام المسترويلز مدير إدارة الزراعة والصناعة بالمعارف في تفقد حالتها ومؤازرته المتواصلة لرفع شأنها وتحسين برنامجها تحسيناً تدريجياً حتى يعادل برامج المدارس الصناعية الأميرية الكبرى .

على أني لاحظت أمراً جديراً بالذكر وهو إهمال المدرسة في تنشيط الطلبة بالمكافآت مع أن ذلك ضرورياً جداً حتى يزدادوا اجتهاداً ومثابرة في حرفهم وحتى يشحنوا قرائهم في اتقانها وتحسينها وكذلك لاحظت إهمالها في تعليم الطلبة آداب السلوك في حصص التعليم مع أنه من أوجب الواجبات لترقية أخلاقهم وأدابهم

ويبلغ عدد التلاميذ الموجودين في المدرسة الآن ١٢٨ تلميذاً منهم ٢١ مسالماً نصفهم مجانيون ويهودي واحد يشتغل في الحدادة واليك جدولاً بعددهم في كل صناعة مع بيان عدد الذين يدفعون منهم النفقات والذين يتعلمون مجاناً .

المعاملات (الورش)	مجانا	مصاريف	المجموع
النجارون	١٦	٠٢	٢٠
البرادون	١١	٠٨	١٩
خراطو الخشب	٠٦	٠٠	٠٦
خراطو المعادن	٠٤	٤	٠٨
الحياطون	١٧	٤	٢١
الاسكافيون	٠٩	٠٠	٠٩
صناع الاحذية	١٢	٠٠	١٢
التنكاريون (السمكرية)	٠٢	٠١	١٤
النقاشون	١٣	٠١	١٤
صناع العربات	٠٤	٠٠	٠٤
المجموع	١٠٢	٢٦	١٢٨

(مدرسة البنات الصناعية)

اما مدرسة البنات فقد يجد الداخل اليها من الباب الخالص بها ساحة واسعة فيها ثلاثة مرشحات للماء مظلة بسقف من القرميد والى الجهة الشرقية من الباب غرفة النظارة وفي وسط الساحة موقع المدرسة وهو عبارة عن طبقة واحدة منقسمة الى قسمين قسم للعلوم

وقسم للصناعات : وكلاهما مرتب ترتيباً جيلاً ومنظف تنظيفاً حسناً حتى لا يمكن أن تجد هذه النظافة في أية مدرسة من معاهد العلم والصناعة في هذا القطر اميرية كانت أو اهلية . وتسع المدرسة ٦٠ تلميذه وفيها منهن الآن ٥٣ كلهن قبليات ما عدا ٨ مسلمات بينهن اثنتان مجانتان وهاك جدولاً بعددهن في كل فرقة .

السنة	مجانا	مصاريف	المجموع
تحضيرية	٠٧	٠٥	١٢
أولى	٠٩	٠٨	١٧
ثانية	١٠	٠٢	١٢
ثالثة	١١	٠١	١٢
المجموع	٣٧	١٦	٥٣

ويشترط لقبول الطالبة أن تكون بالغة من العمر عشر سنوات . اما الاجرة المقررة عليها فهي ٤٠ غرشاً فقط ويتناولن جميعاً طعام الظهر في المدرسة مجاناً وهو ثلاثة اصناف خضار وارز وحلوى ويتناولن في ساعة الاكل خدمة المائدة وتنظيفها وكيفية تنظيمها وتنسيقها . اما مدة الدراسة فهي اربع سنوات منقسمة الى قسمين صناعي وعلمي فالتعليم الصناعي تتلقاه الطالبات في الصباح وبعد الظهر أي انهن يمضين

نصف النهار بالتعاقب في غرف الغسل والطبخ والتفصيل والكي ثم يتلقين من العاوم مبادئ اللغتين العربية والانكليزية والحساب والجغرافيا وتدير المنزل وهذه اول مدرسة من نوعها تعلم الفتيات الصناعة وتديرها الانسة فاني اوجين وهي سيدة في العقد الرابع من عمرها تتقن اللغات الانكليزية والفرنسوية والعربية ولها المام تام بالتعليم والترفية وعلى أداب راقية تمكن المتلمات من الوصول الى اوج الكمال والتهذيب . وقد علمت منها أن نفقات المدرسة تزيد على ٣٥٠ جنيتها في السنة وانها أنفقت مع المستر ويلز الذي أثنت عليه كثيراً على أن تبني الدار البطيرية كما تحضيرا للمدرسة تدخلة البنات الصغيرات اللاتي يقل عمرهن عن العشر السنوات للتعليم والتهذيب ثم أكدت لي أن هذا المشروع سينجز في العام المقبل كما انها صممت بناء على ارشاد المستر ويلز على جعل المدرسة مجانية حتى لا يكون هناك تفاضل أو شبه تفاضل الطالبات وحتى يكن جميعهن في مدرسة واحدة يضمهن التألف والاتحاد بالرغم من التفارق بينهما في الغنى والفقر .

وبالاجمال فان حالة المدرستين على أحسن ما يمكن من النظام والتقدم ولا أغفل ذكر اسفهما على انقضاء رقابة مرقص سميكة بك لهما حيث كان مرشدهما الوحيد في كل عمل وكل مشروع يعود عليهما بالفلاح والنجاح .

على أنه مهما كان رقي هاتين المدرستين فان اقبال الاقباط على تعلم

الصناعة فيها قليل جداً كما ان اقبالهم على مدارس الحكومة والمدارس
الاهلية الصناعية التابعة للمديريات أقل بكثير. وقد أجمع الذين باحثهم
في هذا الشأن على ان اهمال الاقباط للصناعات وعدم اعتدادهم بها يرجع
الى أسباب متعددة منها اعتبارهم الفنون والصنائع من الحرف الحقيمة
التي لا يليق بابنائهم الاشتغال بها ولو أن اجورها أعلى من الرواتب
الصغيرة التي يتناولونها من الخدمة في الدوائر الاهلية والاميرية ومنها
أن أبناء الطبقة الاخيرة غالباً يتوارثون الصنائع عن ابائهم ويتعلمونها
تعلماً سطحياً في الحوانيت والمعامل ليتمكنوا من القيام باودهم في زمن أقل
مما يقضونه في المدارس الصناعية ومنها انصرافهم الى الكسب والربح
من وراء التعليم العقلي والادبي والاقتصادي

وقد تؤيد هذا البحث الوجيه الاحصائية الرسمية الآتية لتلك
المدارس فان عدد التلاميذ الاقباط فيها عيارة عن جزء من ستة أجزاء
بالنسبة لمجموع اخوانهم والواجب أن يكون ضعف هذا العدد. ولا
ادري ماهي المزايا التي عادت علينا بتحقيق الصناعة الى هذا الحد بل ولا
أعلم العذر في عدم العناية بها مع أن من مصالحنا أن تكون نامية ومنتشرة
بيننا وان يكون فينا من الاختصاصيين في فروعها ما يعادل على
الأقل ما هو موجود عند اخواننا لنرد الاوربي عن مزاحمتنا على
حاجياتنا ومرافقنا الحيوية.

واذا كان من مصلحة الامة أن تصرف همتها الى الصناعة وترقيتها

فليس لانها مسألة تتعلق بترقية ابناء الغد ورجال المستقبل بل لان كل تقصير من هذا القبيل انما هو حرمان لما من أهم احتياجاتها وباب واسع لنفاذ ثروتها وتأخير تقدمها فليفقه ذلك الذين يريدون الخير لامتهم ويهبون من سباتهم لالفات اخوانهم الى ضرورة الانصراف للعلوم الصناعية والفنية ليتمكنوا من منافسة غيرهم من جهة وليشتغلوا بصنائعهم وحرفهم في أي بلدة واي مكان احرازاً من كل سيطرة وكل سلطة وهاك هو الجدول .

المدرسة	أقباط	مسلمون	المجموع
بولاك الكبرى	٣٩	١٣٥	١٧٤
ورشه بولاك	١٤	٢٨٠	٢٩٤
المنصورة	١٤	٠٧٧	٠٩١
أسيوط	٧٥	١١٤	١٨٩
محمد علي	٠٥	٣٢٤	٣٢٩
أبو تيج	٤٦	٠٤٤	٠٩٠
دمنهور	١١	١٤٥	١٥٦
طوخ	٠٣	٦٧	٠٧٠
الفيوم	٣٠	١٥٨	١٨٨
المجموع	٢٣٧	١٢٤٤	١٤٨٨

ثم هناك طائفة من صناع الاقباط تزيد على ٥٠ الف صانع يشتغلون في الصناعة والحياكة والخياطة والحداذة والنجارة والسراجة والخراطة وغيرها من الصنائع الوطنية المنتشرة في جميع انحاء القطر ولهم من الحوانيت والمعامل ما يزيد على ٣٠ الفا بينها ١٠ الاف حانوت للصياغ والجوهرجية وخدم.

على انا نلاحظ بكل اسف أن هذه الصنائع تحتاج الى امور عديدة لتبلغ درجات الاتقان والكمال لانها لا تصلح لاتمام الشؤون الصناعية المطلوبة لقلة معلومات المشتغلين بها ومعظمهم من العامة الذين تعلموا حرفهم تعليما بسيطا أو ورثوها عن اباؤهم كما اسلفنا القول .

واذا كان سدس الامة الذي يشتغل بالصنائع جاهلا ضعيفا فكيف يرجى للامة حفظ كيائها وموازنتها بين العناصر الاخرى الا يحسن بالعقلاء وقادة الافكار أن يوجهوا عنايتهم الى ترقية الصناعة وارسال البعثات الصناعية والفنية الى اوربا لتخريج طائفة من الاختصاصيين تلقى على غيرها من الصناع ما تلقته حتى تسد هذه الثغمة وتعيد الى الامة مجدها الزائل ومدنيتها القديمة

وقد لا يعسر تأليف جمعية لهذا الغرض تصرف هممتها الى جمع المال اللازم لنفقات تلك البعثات وتشجيع النوابغ من الصناع والفنيين حتى نصرف اموالنا فيما بعد على ابنائنا بدلا من اننا نصرفها الآن على غيرهم في ابتياع حاجياتنا المعيشية وضرورياتنا الحيوية .

وما دامت هذه هي الحقيقة المجردة فيجب أن نستيقظ ونعمل
بأيدينا العاملة ودروسنا المفكرة وأموالنا الطائلة ولا فنحن بعيدون عن
التقدم والمدنية وعن الحياة بعد السماء عن الأرض !!!

﴿الحياة الاقتصادية﴾

٩

ورث الأقباط عن اجدادهم ملكة استثمار المال وادخاره والحرص
عليه لانه كان عائلهم الوحيد الذي يذودون به عن انفسهم عوامل الظلم
ويدفعون به زير الاضطهاد في عهد العرب وعصر الاتراك والمماليك ولا
تزال صفحات التاريخ مملوءة بفظائع مروعة ارتكبتها الولاة والحكام مع
الاقباط لسلب اموالهم ومقتنياتهم. ففي زمن سعيد بن يزيد والى بصرى في
القرن السابع للميلاد سجن البطريق يوحنا السمنودي وعذب عذابا
شديدا تنفر منه الضواري فافتداه الاقباط بعشرة الاف قطعة من
الذهب وفي زمن عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥ طرح
البطريق اسكندر في السجن وافتدوه بثلاثة آلاف قطعة من الذهب وفي
زمن ابن عبد العزيز فرضت جزية فادحة على الرهبان والاساقفة مقدارها
الفا قطعة من الذهب وفي عهد بشر بن صفوان سنة ٧٢٥ قبض على اسقف
اوسيم بالجيزة وعذب واهين فافتدوه ايضا بثلاثمائة قطعة فقط لانهم جردوا
في تلك السنة من ايراداتهم ومقتنياتهم وفي حكم عبد الملك بن مروان سنة ٧٥٠
قبض على البطريق خائيل وعلى موسى اسقف اوسيم وعلى ٣٠٠ قبطي وقبطية

وزجوا في سرداب مظلم بعد أن نهبت أموالهم وتقدر بمائة ألف قطعة من الذهب ولولا جيش الملك قرياقص حاكم النوبة وانتصاره على جيش العرب لخلاص أولئك المسجونين لقتلوا شر قتلة . وفي زمن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية سنة ٧٧٠ قبض على البطريك مينا وزج في السجن فاقتداه أبناء امته بخمسين ألف دينار وفي زمن المنتصر في القرن التاسع سجن البطريك يوسف واقتدي بألف قطعة من الذهب وفي زمن احمد بن طولون سجن البطريك شنوده واقتدي بأربعة آلاف قطعة ومثلها سنويا وفي حكمه ايضا سجن البطريك خائيل الثالث واقتدي بعشرين ألف قطعة وفي زمن الحاكم بأمر الله سجن البطريك زخريا وافرج عنه بألفي قطعة وفي القرن الحادي عشر سلبت ولاية مصر الكنائس واخذت اوانيها وامتعته النفيسة وصارت تباعها جهارا في الاسواق كما وضعت ايديها على جميع الاوقاف القبطية فلم تبق لها عينا ولا اثرا فاضطر الاقباط الى تحمل النفقات الباهظة لاعادة الاواني والامتنعة بمالهم ثم قام ناصر الدولة وهدم الكنائس في وادي النطرون وذبح الرهبان وسجن البطريك خريستودوس ولولا أن اقتداه ابو الطيب القبطي كاتب هذا الوالي بثلاثة الاف دينار لما اطلق سراحه

وفي القرن الرابع عشر نهب الملك بيبرس من الأقباط ٢٠٠ ألف دينار واحرقت جنود الناصر بن قلاوون كنيسة مارمينا ونهبت خزائنها وكانت أغني خزائن المملكة المصرية على الإطلاق ليس

فقط لكثرة الأموال بل وأيضاً لكثرة الأمتعة الجميلة والأواني الثمينة الفاخرة كانهبت ٧٠ كنيسة في أنحاء القطر وفي زمن السلطان الصالح نهبت مقتنيات وأواني وأموال كنائس المعصرة وصر القديمة والجيزة وبولاق وشبرا وأخذت الأوقاف القبطية وكانت ٢٥ ألف فدان وزعت على الأمراء وفي زمن الملك المنصور سجن البطريك متى وافتداه الأقباط بمائة ألف درهم وفي حكم الخليفة المستعين الملقب (بالمادل) في القرن الخامس عشر قسم الأقباط إلى ثلاث طبقات فيدفع كل فرد من كبار أغنيائهم ٤ دنانير سنوياً عن نفسه فوق الجزية العامة وكل فرد من الطبقة الثانية دينارين والفقراء ديناراً واحداً وفي حكم الملك المؤيد اغتصبت أموال وبيوت الأقباط وفي زمن الملك الأشرف فرضت ضريبة فادحة عليهم وفي القرن السادس عشر افتدوا بعض اخوانهم المسيحيين بخمسة آلاف قطعة من الذهب وفي القرن السابع عشر فرض الوالي العثماني جزية فادحة على نساجي الحرير وكلهم من الأقباط حتى خرب معاملهم وفي القرن الثامن عشر أخذ العربان وعساكر المماليك ينهبون منازلهم حتى لم يبقوا فيها شيئاً يذكرون ثم ضربوا عليهم ضريبة مالية قسموها إلى ثلاث درجات الأولى يدفعها كل غني وقدرها ٥٢٠ بارة والثانية يدفعها كل فرد من أبناء الطبقة الوسطى وقدرها ٢٧٠ بارة والثالثة يدفعها الفقراء وقدرها مائة بارة وفي عهد علي بك الكبير ارغموا على دفع ١٠٠ ألف ريال زيادة عن الضريبة المقررة عليهم . وفي عهد

حسن باشا القائد التركي الظالم نهبت منازل أغنيائهم واغتصبت ممتلكاتهم وفرضت عليهم فوق ذاك كاه ضريبة قدرها ٥٠٠ كيس نقداً أي ٩٠ ألف جنيه باعتبار الكيس ٣١٢ جنيهاً ونصف جنيه كما فرضت ضريبة على كتبهم قدرها ٧٠ ألف ريال وفي حكم عهدي باشا دفعوا ١٧ ألف ريال فدية عن حيهم وفي أوائل القرن الماضي نهبت ممتلكاتهم وسلبت أموال المعلم أنطون أبوطاقيه والمعلم ملطي وغيرهما وفي أول حكم محمد علي فرض عليهم ٢٠٠ ألف ريال ليصرفها على جيشه دفع منها المعلم غالي ٥٠ ألفاً والمعلم فيكتور جرجس ٣٠ ألفاً

وزد على ذلك الضرائب الثقيلة التي كانوا يرغمون على دفعها والهدايا الثمينة التي كانوا ملزمين بتقديمها عند تولية أي وال والرشوة التي كانوا يقدمونها للولاة عند تعيين كل بطريق لهم وعند بناء كل كنيسة وكل بيت وكل عمل وبالأجمال فإن تلك الفظائع علمتهم كيف يحافظون على المال وكيف يستثمرونه وكيف يقتصدون في معيشتهم لمناهضة الحوادث ومكافحة الطوارئ الفجائية والعدائيه التي كانوا واقعين تحت سيطرتها في عهد الحكومة الإسلامية كل تلك القرون والاجيال

وفضلاً عن هذا فقد عرفوا قيمة المال لانهم كانوا متقلدين في كل عصر وفي كل ملك ادارة بيت المال وسائر الاعمال الهندسية والحسابية والطبية والصناعية والفنية وكل عمل آخر يحتاج الى علم وذكاء ونباهة وأمانة وكان يرجع اليهم وحدهم في حل المعضلات من الأمور

والمشكلات من المسائل المالية والاقتصادية . ولما ان تولى الممالك ملك مصر استوزروهم وقلدوهم الرقابة على دوائرهم وممتلكاتهم وأعمالهم لنباهتهم وامانتهم فظهر منهم أغنياء كثيرون امتلكوا الاطيان الواسعة والعقارات العظيمة بجدهم وجهادهم ومعرفتهم طرق الاقتصاد واستثمار الاموال وكان بين هؤلاء الاغنياء فريق من كبار المولدين أمثال المعلم أنطون أبو طاقية وجرجس الجوهري وابراهيم الجوهري وشكر الله جرجس وفلتيوس حنا وواصف المصري ولطف الله المصري ومملطي يوسف وغيرهم ممن كانوا من أصحاب الكلمة المسموعة والرأي الاعلى في دائرة البلاد وحكومتها . وما زالوا كذلك في عهد احتلال الفرنسيين لمصر حيث استلموا مقاليد الاعمال وجباية الاموال وعهد الى أحدهم المعلم شكر الله جرجس في اصلاح المالية المصرية فوضع نظام الرسوم والضرائب على طريقة عادلة ودقيقة وأنشأ دفاتر للعشور ورتب نظاما للجباية وطبع قسائم صغيرة لجمعها وعين صيارفة لتحصيلها بعد أن وضع كشفاً باسماء الكفور والعزب والبلاد وبعد ان قسم النواحي الى ثلاثة أقسام أعلى واوسط وأدنى بحسب مساحتها واهمية كل منها ثم انشأ خزائن لحفظ السجلات وبهذا العمل العظيم عرفت مالية البلاد ووضعت اول ميزانية لها . غير أن الاموال التي جمعت من الضرائب والعشور وقتئذ كانت قليلة جداً بالنسبة لفقر البلاد فاضطر نابوليون ان يستدين من المعلم جرجس الجوهري اولاً ثم من المعلم انطون

ابو طاقية ثانياً حيث اقترض منه مبلغ ١٦٠٠٠٠٠٠ فرنك لا تزال ديناً على الحكومة الفرنسية الى الان ولا يزال احفاد هذا الممول الكبير احياء الى اليوم ومحافظين على جنسيتهم القبطية ودينهم الارثوذكسى بالرغم من رعويتهم لحكومة الجمهورية

العصر الفضي للاقباط

تولى رجل الشرق العظيم محمد علي باشا ملك مصر فاستوزر المعلم غالى لادارة الشؤون المالية والداخلية فى مملكته ولما ان قتل عين ولده باسيلوس بك غالى مكانه وهو اول مصري منح لقب البكوية فى عصر كانت الرتب فيه عزيزة المنال لا تمنح الا لافراد يعدون على الاصابع . وقد نشر هذا المليك الكبير العدالة والحرية بين الامة وعطف على الاقباط بنوع خصوصي لاماتهم ونشاطهم فنبغ منهم افراد كثيرون وتولى فريق منهم الوظائف العالية ومقاليذ الاحكام على الاخطاط . التى كانت عبارة عن اقاليم صغيرة . اما كبار الموليين الذين ظهروا فى عصره فهم المعلم غالى والخوارجا تادرس جلي عميد عائلة جلي وبطرس اغا عميد عائلة البطارسة وميخائيل اغا عميد عائلة المخائلة فى دير مواس والمعلم حنا الطويل والمعلم عريان الطويل وعبد الشهيد اغا عميد بيت عبد الشهيد وغيرهم

وفى زمن عباس الاول وسعيد قبض الاقباط على ازمة الامور المالية والادارية ونالوا من الثروة الشئ الكثير مع مزاحمة الاجانب

الشديدة . وفي زمن اسماعيل ازدادوا أثراء لانصرافهم الى الامور الزراعية والتجارية والاقتصادية وظهر من كبار الممولين الخواجات بشارة عبيد عميد عائلة عبيد في قنا ومقار تادرس واخوان خياط عميد عائلة الخياط واخوان اقلاديوس ومشرقي عبد النور عميد عائلة عبد النور ومشرقي بجرجا وغيرهم كما ازدادوا نفوذا في دوائر الحكومة فتولى عزمي باشا رئاسة الديوان الخديوي وجرجس بك الفيشاوي سكرتارته وعبد الله بك سرور وكالة مديرية الدقهلية وبشاي بك مخايل ووهبه بك رزق الله الجيزاوي ودميان بك جاد وعريان بك تادرس رئاسة الكتاب في نظارة المالية على التابع وتولى غيرهم ادارة المراكز في الاخطاط والاقاليم والقضاء في المحاكم المختلطة والمجالس الملغاة وفي اخريات حكمه عين نسيم بك شحاته عضوا في لجنة تصفية ديون الحكومة وفي ٥ ابريل سنة ١٨٨٠ شكل قوميون التصفية الدولي وناب عن الحكومة فيه المرحوم بطرس باشا فوضع تقريراً هاما يرجع اليه عند الحاجة .

وفي عهد توفيق واوائل الاحتلال الانكليزي تقلد الاقباط الوظائف الحسابة والمالية والتشريعية وتوجهت عنايتهم على الاكثر الى الاشتغال بالاعمال المالية والزراعية والتجارية فانها لتعليهم الاموال من كل جانب تزيدهم نشاطا واقداما حتى صح فيهم قول من قال لا تنال الثروة اعتباطا أو عبثا وانما ينالها أهل النشاط والذكاء بجدهم وسهرهم بعد أن يذيبوا ادمغتهم في استنباط الوسائل وتدير الحيل ومراقبة

الفرص مما يحتاج الى ذكاء وتعقل وسداد رأي .

وفي اوائل حكم سمو اميرنا الحالي عباس باشا قلد المرحوم بطرس باشا وزارة المالية وقليني فهمي باشا مراقبة الاموال المقررة والمرحوم نخله بك يوسف البراتي ادارة سكرتارية المالية وغيرهم ادارة الاموال المقررة والحسابات لانهم اقدر من غيرهم في الاعمال الحسابية والمالية حتى لا يمكن لمديرية أن تنتظم احوالها المالية أن لم يكن باشكاتبها وكتبتها وصيارقتها من الاقباط . وهذا ما حدا الى بقائهم متقلدين لها الى اليوم .

العصر الذهبي الوهاج

زادت الحرية والعدالة التي عمت مصر بفضل جهاد الانكليز والرقى الاقتصادي السريع الذي نما في وادي النيل بهمة رجالهم سراً الاقباط وابنائهم نشاطاً على العمل وعلى استثمار المال حتى أصبح جل همهم محصوراً في اسباب الاثراء والربح من الاراضي والاملاك والسندات والاسهم والشركات كأن هضم الحكومة لحقوقهم في الوظائف الرئيسية قد دفعهم الى ايجاد نفوذ لهم اقوى يستعينون به على حفظ كياناتهم وسط بلادهم . وقد ظهر منهم افراد لا يقلون ثروة عن افراد اعظم بلاد غربية ماله ويملاًون جوانب البلاد ويتفاوت ريعهم السنوي من ٤٠ الى مائة الف جنيه سنوياً ولهم عدة مصارف مالية لا قراض الاهالي من ابناء العنصرين الاموال بفوائد قليلة رحمة بهم من طمع الاجانب

ومن كبار الممولين الذين ظهروا في اواخر القرن الماضي
وأوائل هذا القرن ويمتلكون من الفي فدان الى ٣٠ الفاً هم الذين ترى
أسماءهم أو أسماء أسرهم منشورة في الجدول الآتي

أسماء الافراد والاسر	مواطنهم	أسماء الافراد والاسر	مواطنهم
آل ويصا بقطر	أسيوط	عائلة سوريال	الجديدة شرقية
البطارسة	البلينا	عبد المسيح بك موسى	أكياد شرقية
آل عبيد	قنا	اخوaja واصف جريس	المنصورة
خليل بك ابراهيم	القاهرة	آل الملاخ	جرجا واسيوط
بشري بك وسينوت بك وراغب بك حنا	أسيوط	آل علم	اسنا
اخوaja اندراوس بشارة	الاقصر	عائلة عبد الشهيد	نزلة النلاحين
اخوان اقلادوس ومشرقي عبدالنور	جرجا	آل الخياط	أسيوط
بولس بك حنا	أرمنت	ناشد بك حنا	أشروبة
عائلة المرحوم بطرس باشا	القاهرة	اخوان الياس بشاي	أسيوط
جرجس بك يعقوب	بني سويف	اخوaja قلادوس قائه	»
سعيد بك عبد المسيح	المنيا	اخوaja مخايل قلانس	صنبو
اخوaja حنا صالح نسيم	الفيوم	حبيب سوريال	مغاغة
اخوان شنوده المنقبادي	»	واخوان زقلمه	النخيلة

ويوجد أضعاف هذا العدد من الاغنياء يملكون من مائة الى
الفي فدان والوف يملكون العقارات الواسعة والاموال الطائلة التي لا
تعد ولا تحصى . وبالأجمال فان الاقباط يمتلكون نحو مليون ونصف فدان
تقريباً من الاراضي الزراعية ونحو ٣٠٠ الف بيت أو بمساحة أوضح
يملكون خمس ثروة القطر كله ذلك فضلاً عما لهم من الالوف المؤلفة
المخزونة في المصارف كما انهم أقل ديوناً من اخوانهم

على ان هذا الغنى العظيم الذي تتخذه الامم دليلاً على النجاح
والاصلاح والرفي أصبح من عوامل التأخر والانحطاط بيننا لان
السواد الاعظم من اغنيائنا أو قل كلهم لا يهتمهم ارتقت الامة أو تأخرت
عاشت أو ماتت ما داموا في رخاء وعيش رغيد . زد على ذلك ان بعضهم
يبدل الدنانير الصفراء على مائدة الخمر أو على بنات الهوى أو على طاولة
الميسر ولا يمد يده بدرهم واحد لصالح أمته . ولا يغرنك ما تسمعه
عن الذين يتبرعون منهم بالمال لتشييد صروح العلم واقامة المستشفيات
ومساعدة الجمعيات الخيرية فانهم سأمهم الله يتبرعون قولاً حبا في احرار
الشهرة الذاتية ويضنون فعلاً بما يجودون قولاً

مستشفى مرقصي سمعنا بخيره منذ ست سنوات فأين هو؟ ملجأ
للعجزة والفقراء سمعنا منذ عام بخبر انشائه فأين بابه ومكانه ؟ تمثال
للمرحوم بطرس باشا سمعنا باقامته فأين وضع لقد بحثت عنه كثيراً فلم
أجده ؟ كليات سمعنا بانشائها ففي أي مقبرة دفنت لنصلي على ضريحها

صلاة الجود والموت ؟ ارساليات علمية قالوا بأنهم سير سلونها الى أوربا
على أجنحة الطير فهل طارت بها في الصحراء فدفنتها في الرمال ؟ بل
سمعنا وسمعنا وسمعنا أقوالاً كثيرة ومشروعات متعددة نشرت في الصحف
وعلم بها الخاص والعام والسماء والأرض والجبال والوهاد والحيوان
والإنسان ولم يتم منها شيء بل ذهبت كالمحوى في الفضاء نشر به
ولم نره .

اللهم خزانك بنا ورققا أماتت العاطفة الكريمة التي أودعتها في
صدورنا للعطف على الفقير والرفق بالضعيف والأخذ بيد الصانع والعامل
والنابغ . أماتت تلك العاطفة التي كان يتبارى فيها أجدادنا مباراة
خلدت لهم ذكراً وأبقت لهم عملاً حسناً . نعم ماتت وذهبت ولم يبق
لنا بعدها الا التأسى والذكرى

ولا يشك واحد بينكم في موت تلك العاطفة وأروني غنياً من
أغنيائنا الذين يتفاوت ريعهم السنوي بين خمسة آلاف و٥٠ ألفاً من
الجنيهاً بسط يده كل البسط في مشروع خيري بل أروني رجلاً واحداً
صرف من ريعه ألف جنيه في أي مشروع مع انه لو صرف هذا المبلغ
لما تغير نظام معيشته ولما تحول هناؤه الى شقاء ولا غناؤه الى فقر . انكم
لن تجدوا هذا الرجل .

وضعوا أنفسهم موضع القادة للامه فأروني اي عمل انجزوه غير
تراحهم على الرئاسة وغير تقائلهم على تضحية الامه في سبيل امانهم

واثرأهم . فقوموا وقولوا لهم ان لنا نصيباً وافراً مما تملكون ان لنا عليكم حقوقاً يجب أن نألفها عفواً أو قسراً بل قوموا واصرخوا في آذانهم باصواتكم العالية لعلمهم يسمعون بل قوموا لتعلموهم ان كانوا لا يعلمون بأن بقاء سبعة أعشار الأمة في الفقر والجهالة وعدم القدرة على تدبير شؤونها لما يؤخر الثلاثة الا عشارمهما كانت مرنقية ومتحضرة

قوموا وقولوا لهم ان من الحرام في شريعة الله وشريعة الانسانية أن تقفوا ايها الأغنياء سداً منيعاً في وجوهنا فلا أنتم تعملون لصالحنا ولا أنتم تتركونا نعمل بانفسنا وقوة نوابغنا وعقلائنا للمحافظة على كيائنا ومستقبلنا قوموا واطلبوا من الصحف أن لا تكبر وتمجد فيهم الى درجة الالوهية ليعلموا ان الغني هو من ضحى حياته وماله خير أمته لا الغني الذي يتخذ امته سلماً يصعد عليه الى جبل الذهب وهيكل الفضة .

علموهم ان أغنياء الامم الاخرى يهبون أموالهم لامتهم ووطنهم وهو ثمرة جهادهم الطويل علموهم أن يتركوا أموالهم لامتهم والعلم والترية الصالحة كولداهم فهي أحسن تراث لهم علموهم أن المال سن الوطن ومن الامة ويجب أن يعود الى الوطن والى الامة

أما أنتم أيها الاغنياء فتذكروا ان عليكم واجبات مقدسة . تذكروا ذلك واعلموا اني ما كتبت بالقلم الصارم لاجرح عواطفكم بل لأمس أوتار قلوبكم واحرك نخوتكم وشهامتكم وقوميتكم وحسبي من هذا

الحض رفع شأن أمتي وحسبكم من النخوة بقاء الذكر ومن الشهامة
حسن الأثر ومن القومية بعد الصيت

الخاتمة

١٠

عدد الاقباط

كان عدد الاقباط عند دخول عمرو بن العاص ٣٠ مليوناً من النفوس
وقد عاشوا في أمن وسلام نحو جيل من الزمان الى ان تولى عبد الله بن
عبد الملك ولاية مصر فأصلحهم نارا حامية من الاضطهادات والمظالم حتى
قيل انه كان لا يستقر للأكل في جوفه الا اذا ذبح قبطياً ثم زاد عليهم
الضريبة فاضطر كثيرون منهم الى اعتناق الدين الاسلامي كما هاجر فريق
عظيم الى الاقطار والامصار فرارا من هذه المظالم والاضطهادات التي
اشتدت في حكم عصامة بن يزيد وقره بن شريك حيث تغالا في الظلم
الى حد لا يحسن ذكره بل الى حد شير العواطف ويدي الاقئدة

ولما ان تولى بشر بن صفوان ورد اليه كتاب من الخليفة يزيد بن
عبد الملك يأمره فيه ان يخير الاقباط بين أمرين اما ان يعتنقوا الدين
الاسلامي واما ان يتركوا البلاد وما يملكون فاختراروا الثاني حتى اصفرت
أقاليم برمتها منهم ما عدا أقباط الشرقية فقد ثاروا على بشر وعلنوا عصيانهم
عليه فدحرهم بجيشه وافناهم ثم تحول الى اخوانهم من سكان الاقاليم
الآخري واخذ يعمل في رقابهم السيف فاستشهد منهم كثيرون

ونسج خلفاؤه على منواله من المظالم والفظائع وكان أشدهم قسوة
حنظلة بن صفوان حيث اذاقهم الأصرين وارغمهم على اعتناق الدين
الاسلامي ارغاما زادهم استشهادا وفناء . وقد لبثوا يتحملون كل هذه
الاضطهادات المروعة الى زمن عبد الملك بن مروان الذي صب كاسات
ظلمه ورجزه عليهم فثار عليه اقباط الوجه القبلي بقيادة بطريقهم ودحروا
جيشه وافنوه ولم يكتفوا بهذا الانتصار الباهر بل ساروا مجدين خلفه
حتى ادركوه وخذلوه كما هب اقباط الوجه البحري بقيادة المعلم يوحنا
السمنودي واجهزوا على ما تبقى من جيشه وقوته بعد ان اعلنوا استقلالهم
بملك مصر

رأى ابن مروان ما حل بجيشه وبملكه فاستغاث بامراء العرب
فاعانوه بجيش عرمرم تمكن من الانتصار على الاقباط وعلى قمع ثروتهم
ولكنهم لم يخلدوهم الى السكينة بل انحازوا الى جيوش الدولة العباسية
وقاتلوا معها جيش ابن مروان حتى طحنوه واسقطوا بسقوط عرشه
الدولة الاموية.

على انهم مع كل تلك الخدمات التي ادوها للدولة العباسية لم يسلّموا
من اضطهاد ولايتها واضطروا لشدة ما اصابهم ان يشوروا في الوجه
البحري في زمن يزيد بن حاتم فارسل اليهم جيشاً قويا لمحاربتهم
واخضاعهم فاحاطوا به ومزقوه وانتهت هذه الثورة بمحاربتهم واخضاعهم
بالقوة والعنف بعد ان ثبتوا في مواقفهم ثبوت الرواسي مدة من الزمن

حتى اضطروا ان يأكلوا جثث الموتى منهم لشدة الجوع كما روى
المقريري في تاريخه .

وقد ظلموا بعد ذلك يقاومون الاضطهادات بصبر وجلد حتى لم
يبقى في قوس صبرهم منزع فثاروا في زمن ولاية موسى بن علي ثم ثاروا
في زمن المعتصم حيث قاموا عن بكرة ابيهم مقاتلين جيش العرب حتى
انتصروا عليه انتصارات باهرة ومع تداخل المامون لاخلادهم الي السكينة
ابوا الا الاستمرار على القتال حتى استفحلت ثورتهم وخشي الخليفة أن
يذهب منه ملك مصر فجمع جيوشه وحاربهم حتى زحزحهم من اما لنهم
فلاذوا بقلاع بابل (مصر القديمة) وتحصنوا فيها فهاجمها العرب وبعد
كفاح شديد فتحوها . قال المؤرخون ولم يكتف العرب بما نالوا من النصر
ولا من قتل جموع الثائرين وأهلك عائلاتهم بل داروا في طول البلاد
وعرضها يقتلون الاقباط ويرغمونهم على اعتناق الدين الاسلامي فاستشهد
الوف وأسلم كثيرون خوفا من الموت والذبح ومن ذلك الزمن صار يتناقص
عدة الاقباط حتى قل عن عدد المسامين ثم ازداد تناقصا بما استعمله الولاة
والسلاطين معهم من طرق التعذيب لاذلالهم وحملهم على ترك دينهم
قال المؤرخ نيل الشهير لما ان انصرفت همه الخلفاء وولاة مصر
لمحو الديانة المسيحية منعوا الاقباط من ركوب الجياد ورفقوهم من خدمة
الحكومة وهدموا كنائسهم ونبشوا قبورهم ونهبوا أموالهم ومقتنياتهم
ومنعوهم عن القيام بفرائض دينهم وأتلفوا الكروم حتى لا يجدوا خمرأ

لا تمام فريضة العشاء الرباني . ونريد عليه ان الحاكم بأمر الله عذبهم عذابا شديداً وسجن بطيريركم وسامه الخسف والهوان حتى يعتنق الدين الاسلامي لتنسج أمته على مثاله ولكنه بقي متحملاً كل عذاب كما بقي الاقباط يمارسون العبادة في بيوتهم وفي الكهوف والمغارات والجبال والوهاد ويقابلون كل اضطهاد بصبر وجلد عظيمين أدهشا الحاكم بأمر الله حتى قال ان ويلات العالم وضروب الزمان لا تقوى على هدم الديانة المسيحية في مصر فصدق قوله وتمت نبوته . وهكذا تقلب الزمان على مثال ما رأيت وأخذ الاقباط يعانون المصائب العظيمة التي لم تعانيها أمة من قبل في هذا الوجود حتى دخل القرن الثاني عشر وأمعنت جنود الامير شركويه فيهم قتلاً ونهباً فأضرموا نار الثورة حتى قتل منهم خلق كثير ثم خيروا في زمن صلاح الدين بين الاسلام والقتل فاخترى وقتل وأسلم ألوف منهم وبعدها عانى الاقباط صنوف العذاب في القرن الرابع عشر فعطلت كنائسهم وارغم كبارهم على اعتناق الدين الاسلامي وقتل منهم عدد لا يحصى في أنحاء القطر كما ذبح الرهبان والقسوس حتى أصبحوا كالاغنام تساق بالالوف الى المجازر حتى مل القاتلون الذبح وعافت نفوسهم مناظر الدماء زد على ذلك ضروب الاذلال والاهانة والقسوة الشديدة التي كانوا يعاملون بها والاضطهادات التي كابدوها في عصر الاتراك والمماليك فضلاً عن المجاعات والوبئة التي كانت داء موضعياً في مصر بسبب المظالم واهمال مصالح البلاد وتقصي الجهل والغطرسة في

عقول متولي أمور العباد وهكذا ما احتل الفرنسيون مصر حتى كان عدد الاقباط لا يزيد عن المائتي الف جيش منهم الجنرال يعقوب نحو ثلاثة آلاف عسكري وحارب بهم جيوش الممالك والشر اكسة في الثورات التي شبت أثناء ذاك الاحتلال

وبعد أن تولى محمد علي ملك مصر استراح الاقباط من الاضطهادات والويلات الشداد وأخذوا ينمون حتى بلغ عددهم في سنة ١٨٨٢ نحو ٥٠٠ الف ثم بلغوا في تعداد سنة ١٨٩٧ - ٦٠٩٥١١ نفسا وفي التعداد الاخير ٧٠٦٣٢٢ نفسا. والحقيقة أن عددهم يزيد عن مليون نسمة لان أكثر الذين عينتهم مصلحة الاحصاء كانوا يعتمدون اغفال كثير من منازل الاقباط عن الحصر حتى شكا كثيرون من هذا الاغفال فبذا لو ان جمعية كبرى كجمعية التوفيق قامت بأمر تعداد الاقباط في البلاد وهو لا يكلفها تعباً ولا مشقة سوى أن تطبع الدفاتر اللازمة للتعداد وتوزعها على الابروشيات لانجاز هذا العمل حتى تقف الامة على تعدادها الحقيقي .

الموظفون الاقباط

قل عدد الموظفين الاقباط في عهد الاحتلال حتى أصبحوا ٣٠ في المائة بعد ان كانوا ٩٠ في المائة بالرغم من اقتدارهم وذكائهم وحيازتهم لشروط الاستخدام وباليتمهم مع تلك القلة تساواوا باخوانهم في الوظائف الرئيسية ولكنهم هضمت حقوقهم فيها وحرموا دون مسوغ شرعي

من تقاد الوظائف الادارية التي كانت مقصورة عليهم ومن الترقى في الجيش والبوليس وباقي الوظائف الاخرى

ومن الغريب ان يذهب الانجليز مذاهب شتى في هذا الحرمان اعتماداً على آراء ومشورة بعض الوطنيين مع انه في الحقيقة مشير لاطفة الانشقاق في الامة كلها ومنشط لروح التفريق بين أبناء العنصرين بلا جدال

ولقد اجمع مونتيسيكو وروسو واللورد افيري وغيرهم من الفلاسفة وكبار المصلحين ان الطريق الوحيد لتوطيد دعامة السلام بين عناصر الامم هو العمل بمبدأ المساواة بين أفرادها في كل شيء حتى لا تتولد في نفوسهم عاطفة العداة لبعضهم بعضاً . وقال الوزير كيزو الفرنسي الشهير في مؤلفه تحضر الامم الاوروبية ان المراكز الادارية يجب حتما ان تكون موزعة بين عناصر الامة على السواء لانها أعظم واسطة لاتنظام الهيئة الاجتماعية وارتقاءها وتقريب العناصر الوطنية بعضها من بعض وضمها جميعاً تحت راية التآلف والتسامح والا فلا مناص لها من التأخر والتحزب والتقاطع وانتشار روح التعصب بين أفرادها . والواقع يشهد ان المصريين الذين يرون دائماً مديري الاقاليم وما موري المراكز ورؤساء المصالح والحكمدارين وغيرهم كلهم من أبناء عنصر واحد أصبحوا يشعرون بان هناك تفاضلاً حقيقياً بين المسلم والقبطي وأثر هذا الشعور تأثيماً مفرطاً في مجرى الاحوال والحوادث

والنظام في البلاد بل دفع البسطاء والسذج من أبناء العنصر المميز عن غير الحق وعدل الى اعتبار التمييز في سيرون عليها في احراج صدور اخوانهم كما هو الجاري الآن في سائر أنحاء القطر وان حجبته قوة الاخاء وعاطفة التألف الموجودة في صدور العقلاء

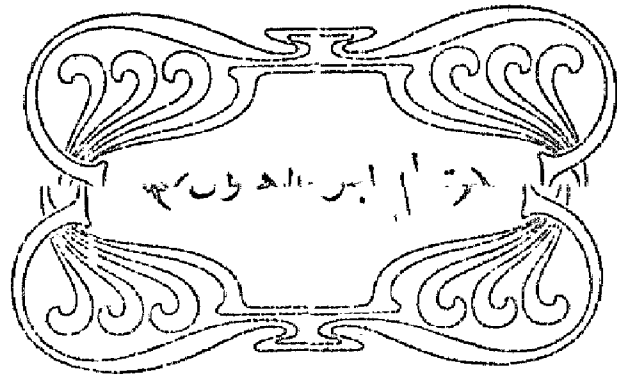
واذا كانت العدالة والحرية اللتان أسياها الانكليزي في مصر قد انتجتا النظام والهدوء والراحة والثروة والتمدن تخليق بهم وهم أصحاب السلطة الفعلية في البلاد أن يجعلوها سبيلا للمساواة بين أبناء العنصرين في الوظائف الرئيسية لا يعطوا الاقباط فقط من الرواتب ما يوازي الضرائب التي يدفعونها وهي خمس رواتب اخوانهم بل ليشوا روح التساهل في الامة وليقتلوا تلك العاطفة الشريرة من صدورها وهم أول من يعلم ان المساواة هي الشقيقة الثالثة للعدالة والحرية وبدونها لا يكون لهما تأثير ما في تمدن البلاد وارتقاءها

ولطالما قيل ان سياسة الحكومة كانت منظوية على نشر مبدأ التساهل بين العنصرين باحياء روح المساواة والاخاء بينهما حال كونها رأت بعينها المساعي المبذولة لمنع انتخاب الاقباط في مجالس المديريات والبلديات وغيرها و حال كونها رأت انه لا وسيلة لترطيب الاخلاق سوى أن تبدأ بالمساواة في دوائرها لتنتقل منها الى مجالس الشعب والى قصور الاغنياء وأكواخ الفقراء

ولا يسعني اطالة الشرح في هذا الموضوع الذي كثر فيه البحث

منذ زمان طويل وانما اقول لكم ان وقت العمل والنهضة قد آن فانهضوا
عن بكرة أبيكم وطالبوا بحقوقكم المهضومة مادمتم تعمرون قبل غيركم
خزينة الحكومة والبلاد يل قوموا وانهضوا لتضعوا حداً لهذا التفاضل
مهما كانت المصلحة التي من أجلها تستعمل الحكومة تلك السلطة لتنفيذها
لانكم انتم سادة الوطن وأصحابه الاصليون وأولى من يغار عليه وعلى
شرفه واعلاء مكانته والافاعلموا انه سيأتي عليكم يوم فيه ترون انفسكم
عبيدا اذلاء للغير كما انتم ترون اليوم انفسكم ضعاف الحول والطول
منحطي المكانة والمنزلة والسلام عليكم يوم نشأتم ويوم رقدتم ويوم
تبعثون احياء

في ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٠



احصائية عن عدد الاقباط في كل مديرية

المجموع	بروتستانت		كاثوليك		ارثدوكس		أسماء الاقاليم
	ذكور	أناث	ذكور	أناث	ذكور	أناث	
٤٩٨٢٥	٤٢١	٥٧٧	١٧٨٤	١٦٨٩	٢٤٧٠٧	٢٠٦٤٧	المحافظات
٨٧٠٣	٧٤	٥٢	٢١	١٨	٤٢٤٠	٤٢٩٨	القليوبية
١٥٨٦٩	٨٣	٤٤	٨٨	٨٠	٧٨٤٣	٧٧٣١	الشرقية
١٧٢٧١	٤٢	٢٦	٩١	١٠٥	٨٣١٩	٨٦٨٨	الدقهلية
٢١٠٤١	٧٠	٥٥	١٤٧	١١٧	١٠٢٨٩	١٠٣٦٣	الغربية
١٠٤٥٣	٤٦	٣٥	٩٠	٦٢	٥١٣٣	٥٠٨٧	البحيرة
٢٨٨٧٨	٣٨	٣٠	١٧	٢١	١٤٠٣٠	١٤٧٤٢	المنوفية
١١٩٣٩	٣٧	٢١	٨٠	٢٥	٦٠٧٦	٥٧٠٠	الجيزة
٢٠٩٠٦	٢٥٥	٢٦٥	٢٣	٢٨	١٠٢٤٦	١٠٠٨٩	الفيوم
٢٠٨٥	٧٦	٧٥	٤٨	٢٩	٩٨١٨	١٠٠٩٣	في سويف
١١٤٧٤٨	٣٠٣٥	٢٩٠٦	٨٨٢	٨٤٠	٥٣٥٤٣	٥٣٥٤٢	المنيا
١٩٤٩٥٥	٧٦٠١	٦٧٧٣	٢٢٩١	٢٠٦١	٨٧٩٨٢	٨١٢٤٧	أسيوط
١٢٧٦٤١	٥٦٠	٤٤٠	١٣٦١	١٤٠١	٦٢٣٧٢	٦١٥٠٧	جرجا
٥٨٦٥٣	٥٣٩	٤٦٥	٦٤٠	٤٩٠	٢٨٧٨٦	٢٧٧٣٣	قنا
٥٢٩١	٤٥	٢٤	١٦	٢١	٢٧٤٦	٢٤٣٩	اصوان
٧٠٦٣٢٢	١٢٩٢٢	١١٧٨٨	٧٥٧٩	٦٩٨٧	٣٣٦٢٩٦	٣٣٠٢٤٠	المجموع



ناشد بك حنا

Nashed Bey Hanna

اهداء الكتاب

الى سعادة السري الوجيه الامثل

ناشر بك هنا

سيدي الجليل

ان تلك المنزلة الرفيعة التي حزتها بين ابناء وطنك بخدماتك الجليلة
واخلاصك المتناهي دفعتني ان ازف الى ساحة فضلك هذا الكتاب الذي
عنيت بوضعه عن تاريخ أمتك الحديثة لتكون تلك الصفحة النقية التي
تملأها الحياة والنور خير معين للناشئين على زيادة الارتقاء والتمدين
والذي يزيدني أملا في بلوغ هذه الامنية أن الحوادث العظيمة التي
ولدت التمدين واعانت على نموه وامتداده ان هي الا بمن غراس رجال
العمل والنهضة الذين تسير في مقدمتهم وتجاهد معهم جهاد الانبياء
لخير الامة وخير الوطن

فاجلالا لشعورك العالي واقراراً بجهادك في خدمة امتك أرفع
اليك هذا الكتاب وكلني أمل ان تتفضل بقبوله عربون ولاء واخلاص
من الحامد لفضلك
رمزي تادرس



سمو الخديوى المعظم

S. A. Abbas Pacha Helmy